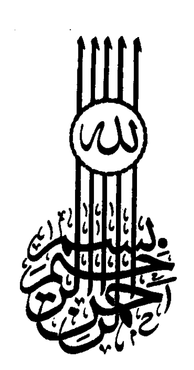
التأصيل الإسلامى
والخروج من التبعية

خطوط عامة للتصور الإسلامى
إزاء الفكر العلمانى والوثنى والمادى

أنور الجندى



التأصيل الإسلامي
والخروج من التبعية

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م



دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة : ١٦ ش عدلي ص.ب ١٣٤٧ رمز بريدى ١١٥١١
ت ٣٩٣١٤٣٤ فاكس : ٣٩١٢٢٠٩
الفرع : حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص ب : ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

الفهرس

الفصل الأول

مقارنات الأديان

جاء الإسلام خاتما للأديان ؛ وهو الدين الذى أنزل على البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام . كانت الرسل والأنبياء ترسل لأممها ، ومعها كتبها وصحفها ، ومعها معجزاتها ، حتى إذا وصلت البشرية إلى درجة من الوعى والقدرة على تلقّى الرسالة العالمية الخالدة ، جاءت رسالة الإسلام يحملها محمد ﷺ ، ومعجزته القرآن للعالمين جميعا .

جاء الإسلام ليظهره الله - تبارك وتعالى - على الدين كله ، وجاء القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها .

ولقد كان الدين الذى أنزله الله - تبارك وتعالى - على رسله وأنبيائه منذ فجر البشرية إلى ختام النبوات والرسل محمد ﷺ يدعو إلى توحيد الله - تبارك وتعالى - والإيمان به خالقا ورازقا ، والإيمان بأنبيائه ورسله وكتبه وملائكته والبعث والجزاء والغيب والحساب ،إيمانا تسلم فيه النفس الإنسانية وجهتها إلى ربها - تبارك وتعالى - وتذعن للنظام الذى أنزله وتعمل به من خلال السعى لإقامة منهج الله على الأرض ، والإيمان بمهمة الإنسان ومسؤوليته ودوره الذى أعد له .

وجاء الإسلام ليحرر البشرية من عبودية الصنم ، والارتفاع فوق أهواء الوثنية الضالة، وتحرير الإنسان من العبودية للإنسان .

كما جاء الإسلام بمفهوم جامع متكامل ، يجمع بين علاقتى الإنسان مع ربه من ناحية ومع مجتمعه من ناحية أخرى ، عقيدة ومنهج حياة ، وليس دينا لاهوتيا على النحو الذى عرفته بعض الأديان التى انحرفت عن منهجها الأصيل ، واستبدلت كتاب السماء بقراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله** ﴾ [البقرة : ٧٩] .

ولا شك أن من أخطر الأفكار التى طرحها الفكر الغربى هو محاولة القول بأن الأديان المعاصرة واحدة ، وأن الخلافات القائمة بينها هى خلافات يسيرة ، فالأصل فى الأديان السماوية واحد ، ولكن أهل تلك الأديان عجزوا عن حفظ كتبها ومنطلقها ، فانحرفت عن مفهومها الربانى الأصيل الذى جعلها بمثابة عقد متصل ، تسلم كل حلقة منه للأخرى ، وتنتهى جميعها إلى الرسالة الخاتمة ، وقد أخذ الله - تبارك وتعالى - العهد على كل نبى ورسول أنه إذا جاءهم نبى مصدق

لما معهم أن ينصروه ، وقال عيسى عليه السلام - فيما روى عنه القرآن الكريم : **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾** [الصف : ٦] . غير أن الأحبار والرهبان بدّلوا وغيروا ، وحجبوا هذا السياق ، ومحوا الرابطة التى تربطهم بالدين الخاتم الذى سجلته التوراة والإنجيل جميعا .

ومن هنا كان الخلاف الذى صحح القرآن مواضعه وكشف زيفه ودعاواه ، حيث أعاد البشرية إلى الطريق الصحيح ، مرتبطا بإبراهيم - عليه السلام - والحنيفية السمحاء : **﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾** [النحل : ١٢٣].

ومن هنا كان على الإسلام أن يواجه دعوات الوثنية والإلحاد وأساطير الأمم، التى اختلقها أعداء الدين الحق ، والإسرائيليات القديمة والحديثة ، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى مقولته الحقة : « إنما ينتقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية » .

ومن حيث إن القرآن الكريم هو النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،والسنة المطهرة تفسير له وتطبيق،فقد كان من الضرورى حماية هذه العقيدة من محاولات التشكيك فيها وانتقاصها من قبل أصحاب الأديان الأخرى ، الذين يعلمون أنها منزلة من عند الله - تبارك وتعالى - وأنها قادرة على اقتحام القلوب والعقول ؛لصدقها وسلامتها : **﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾** [فصلت: ٤٢] . ومن هنا كانت المحاولة الخطيرة لتزييفها وتأويلها وإثارة الشبهات عنها ، وهذه المحاولات جرت فى ميدانين :

الأول : ميدان التبشير المسيحى القائم على تحريف النصوص وتأويلها وإشاعة روح التشكيك فى حقائقها ، وإحياء خلافات الفرق القديمة .

الثانى : ميدان الاستشراق الذى يرقى إلى فرض مفاهيم غربية بديلة للمفاهيم الإسلامية الأصيلة ، ويهتم بالإسرائيليات والنصوص الفلسفية وكان التأويل هو أخطر الأسلحة التى استعملت لتفسير النصوص تفسيرا يخرجها عن مدلولاتها الأصلية إلى مدلولات منحرفة ، حذر القرآن وكذلك الرسول ﷺ من هذا الخطر حتى لا يقع المسلمون فى هذه المحاذير .

ومن هنا فقد أصبحت حماية العقيدة الإسلامية من التحريف ومواجهة مؤامرات خصومها وأعدائها فريضة قائمة دائمة يحتشد لها علماء المسلمين لدحض

كل اتهام ومواجهة كل خطر . ولقد عاش المسلمون يواجهون هذا الخطر وقد ركزوا على خطر محاولات أهل الكتاب من رؤساء الأديان فى محاولاتهم .

وكانت حماية تميز الإسلام وذاتيته الخاصة غاية كبرى على مدى العصور ، وهى فى هذا العصر تحتاج إلى مزيد من الحماية ، حتى لا تتغلب دعاوى المعاصرة بما يحاول خصوم الإسلام من الدعوة إليه بالاستسلام لروح العصر ، ولا ريب أن روح الأمة أعظم من روح العصر ، بينما لا تزيد (روح العصر) عن أن تكون طائفة من التقاليد والعادات .

القرآن وحده هو الكتاب المنزل الصحيح :

هذه هى الحقيقة التى تأكدت تماما بحيث يمكن القول بأن القرآن هو السجل الحقيقى للتاريخ البشرى الصحيح ، بعيدا عن تحريف الكتب .

وقد ظهرت فى الفترة الأخيرة مجموعة من الكتب الغربية تعطى إيحاءات أساسية لظواهر جديدة لها أثرها وقيمها فى مقارنات الأديان :

أولا : الأريوسية المحدثة (وهى تلك الجماعات من النصارى الذين أحيوا مفاهيم القس أريوس الذى أعلن أن السيد المسيح هو عبد الله ورسوله ، وأنه ليس إلها) .

ثانيا : أسطورة الإله المتجسد ، الذى كتبه سبعة من أساتذة اللاهوت ، وهو يعارض فى صراحة وحسم فكرة أن عيسى ـ عليه السلام ـ إله متجسد .

ثالثا : (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) الذى كتبه دكتور موريس بوكاى ، وأعلن فيه عدة من الحقائق .

وأبرز آراء الدكتور بوكاى أن كتب المسيحيين واليهود المقدسة المعروفة فى الشرق بالتوراة والإنجيل، لا تقارن من حيث صحتها بالقرآن، فالقرآن حفظه المسلمون فى صدورهم كما أنزل على محمد ﷺ، ودونت آياته فى عهد الرسول ﷺ متفرقة ثم جمعت فى عهود خلفائه ودونت ، فلا يستطيع أحد أن يشكك فى نص من نصوص القرآن ، فهو ـ حقاً ـ الكتاب المنزل من السماء .

أما التوراة والإنجيل فليسا بمنزلة القرآن من حيث الصحة التامة ، وربما أمكن تسميتهما تجوزا بالأحاديث المروية عن النبى فى الأمور الدنيوية ، ومنها أحاديث صحيحة وموضوعة وأحاديث أدخل عليها الرواة شيئا من التحريف ، ولكن رؤساء

الكنائس حملوا الناس على تصديقها كلها وعدم التمييز بينها من حيث الصحة .

وفى التوراة قصص كثيرة يمجها الذوق ، وأخبار عن حوادث كونية أظهر العلم بطلانها والأخبار العلمية قليلة فى التوراة والإنجيل ، ولكنها غير قليلة فى القرآن ، وكل ما جاء به القرآن من هذه الأخبار قد ثبتت صحته .

واليهود يقولون إن آدم ـ أى أول رجل ظهر فى الكون ـ قد هبط إلى الأرض منذ ٥٧٣٨ سنة ، بينما تظهر الكشوف العلمية الثابتة أن هذا البيان بعيد عن الحقيقة قليلا فالإنسان وجد قبل ذلك بوقت طويل ، أما القرآن الكريم فإنه لم يحدد تاريخا لخلق آدم .

* * *

ويقول الدكتور موريس بوكاى « إن القرآن وقد استأنف الكتابين اللذين سبقاه لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهى السمة البارزة فى مختلف صياغات الأناجيل ، بل يظهر أيضا لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم طابعه الخاص وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك، وكما أثبتنا يكشف البارى فيه مقولات ذات طابع علمى يستحيل على العقل أن يتصور أن إنسانا فى عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يعرفها وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التى كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن » .

وانتهى الدكتور موريس بوكاى إلى أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى حفظت أصوله من بين باقى الكتب السماوية ، ويقرر فى صراحة كاملة : « استطعت بعد الدراسة الواعية أن أقرر أن القرآن لا يحتوى على أى مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث » ا.هـ

* * *

التوراة :

أما التوراة فقد أصدر الدكتور ريتشارد ميمسمون ١٦٧٨ كتابه عن (التاريخ النقدى للعهد القديم) نفى فيه نفيا باتا قاطعا نسبة أسفار الشريعة إلى موسى ـ عليه السلام ـ مؤكدا أنها مجموعة من مدونات مختلقة الأصول ، عكفت أجيال متعاقبة من الأحبار على إعادة تسجيلها باجتهاد وهوى ، تحويرا وحذفا وإضافة

حتى يتوفر لهـا آخر الأمر (عزرا) ومريدوه خلال القرن الرابع قبل المـيلاد فيستقر على الوجه الذى يطالعنا به اليوم .

وقد تابع هذا وأيده علماء آخرون ، منهـم (وربيل اكوستا) بمدينة أوبركو ، ثم جاء باروج سينوزا وكتابه (دراسة فى الـلاهوت والسياسة) . ويرجـح الخـبراء ـ على ما روى حسين ذو الفقار صبرى ـ أن أسفار التوراة تعود إلى توليفات مستقاه من أربعة مصادر رئيسية على الأقل ، غير عديد من روافد فرعية ، ربما عاد بعضها إلى مأثورات لـم تكن تمت إلى بنى إسرائـيل أو بنى يهوذا بأصـول إلا أنها بمرور الزمن أصبحت شائعة بين شعوب المنطقة جميعا .

هناك وراء كل قصة قصد معين يبرز لنا واضحا ، رغم كل ما يبذل من جهود للربط بين أبطال تلك القصص ،إحكاما لتسـلسل تاريخى مفتعل يفترضون أنه كان لشعب واحد بعينه ، فى حين أنه لـم يعن الرواة أول الأمر إلا أن يستعرضوا وقائع معينـة تفسيرا لظروف مـعيشية أو لأحداث كـابدها الأسلاف أو مغامرات بـطولية خاضها أب العـشيرة ، الذى اعتقدوا أنهم كـانوا إليه ينتسبون . وهـناك فجوة بين قصص الآباء الأولـين امتدت أربعمائة وثلاثـين عاما ، قصص الآباء تسـجل بدقة تفصيـلا بينما نجد أنه قد مـسح من ذاكرة القوم جميـع ما يتعلق بغيـره ربما كانت أعصب فتـرات حياتهم القوميـة لو أننا بصدد أمة كان لـها بالفعل كيان مـن قومية متصلة .

وهناك قصد معين وراء طمس معالم تلك القرون الأربعة ، تسترا على أحداث كان لها دلالتها ،أم أنها فجوة تفصل فصـلا قاطعا بين أزمنة غابرة وبين واقع فعلى هو المـيلاد الحق لأركان مـن عقيدة تـوحيدية ، حـين اصطفى مـوسى شعبـه من مستضعفين ومـن لاذ بهم من متذمرين ، فخرج بهم مـن أرض مصر إلى صحراء التيه .

* * *

أما الشيخ رحمة الله بن خليل الـهندى مؤلف (إظهار الحق) فيرى أن التوراة فى صورتـها الحالية لـم تنتقل بـالتواتر ولا بالسـند الصحيـح عن موسى ـ عـليه السـلام ـ وأن دراسة نصوص من التوراة تثبت أن عدداً كبيرا من أسفارها وضع بعد موسى ـ عـليه السلام ـ لأنـها تذكر وفاتـه وما وقع بعده ، كـما نجد تناقـضا بين الأسفار فى ذكر عدد من الحوادث ، ويدعم ذلك دراسات قام بها عدد من الباحثين الأوربيين ، خرجوا منها بأدلة تظهر التناقض والوضع .

وقد تحدث كثير من الباحثين عن تناقض الكتب المقدسة وشكا أهل الغرب من اختلاف الكتب التى بين أيديهم ، ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ [النساء : ٨٢] . مما يجعل الواحد منهم يصاب بالملل بعد الصفحات العشر الأولى ، فتبقى فى ذهنه معلومات مشوشة عن الحياة والخلق والآخرة والإله والتوراة ، وهنا يجد نفسه عاجزا عن مطالعة الإنجيل .

ويركزون على التناقض الملحوظ فى روايات العهد ين القديم والجديد ، ويتوقفون عند (سفر التكوين) وما فيه من لامعقولات ، فضلا عن اختراع قصة (توارث الخطيئة وضرورة الكفارة عن طريق يسوع المخلص ولغياب المسيح أوجدت فكرة الإحلال ، فالربوبية التى حلت فى المسيح لها أن تحل بعد ذلك فى علمائهم (البابـاوات) . وهذا يوزعه بدوره على القساوسة الذين سيحكمون بإقراره ، فضلا عن مساهمة الكنيسة فى تأصيل حكم الملوك والإقطاعيين فى العصور الوسطى مما جعل شعار الثورة الأوربية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) رغبة فى القضاء على رجال الدين قبل رجال الحكم .

وأشار الباحثون إلى تناقضات (سفر التكوين) فى القرن القديم فى عدة نقاط :

- فى اليوم السابع كان الرب قد أنهى الخلق فاستراح .
- فى وسط الجنة كانت هناك شجرتان إحداهما تهدى ثمراتها الحياة الأبدية ، وتهتدى الثانية عما يستغنى به عن الرب .
- فكر الرب أنه ليس من المعقول أن يظل آدم وحيداً فقرر أن يهديه شريكا مناسبا ، فشكل من الأرض الحيوانات البرية والطيور ، ولكن آدم لم يجد فيها الشريك المناسب وهنا خلق الله لآدم من ضلعه حواء التى فرح بها آدم ، وفى المساء مع برودة الجو سمع آدم وحواء خطوات الرب فى الجنة فاختفيا وراء الأشجار ،ولما بحث عنه الرب ونادى ،أجابه آدم بأنه اختفى لأنه عار تماما ،وهنا سأله الرب: هل أكلت من الشجرة المحرمة،وأجاب آدم : المرأة التى أعطتنى إياها ، أعطتنى ثمرة فأكلتها . قال الرب لحواء :ستتألمين كثيراً عندما تحملين وتضعين الأطفال.
- لما رأى الرب الناس لا يعبدونه حزن حزناً شديدا ، وعاتب نفسه أنه خلقهم أصلا ، وقال : إنى راغب فى إفناء الناس والحيوانات وكل ما فى الأرض .

- وصلتنى العديد من الشكاوى من أهل لـوط وفوقهم تصرخ إلىَّ السماء لذا أتيت لأنظر بعينى هل حقيقة سوء العمل هذا .

- وفى يوم قـالت ابنة لـوط الكبيـرة لأختها : لـيس هنا مـن رجال وأبونا شـيخ سنسـقى أبانا خـمرا ونضجع واحـدة تلو الأخرى مـعه لترزق أولاداً وحـملت البنتان من أبيهما .

وهذه التـناقضات جزء مما تحـويه صفحات كتـاب يدعى حاملوه أنـه نزل من السمـاء بوحى على بـنى إسرائيـل ، ولقد كانت سـببا فى خروج أبـناء الكنـيسة الكاثوليكية إلى الـبروتستانية ، ثم سببا فى حرمان الكنـائس من مطالعة الإنجيل ، ولما بدأت المطالعة بدأت الانشقاقات وبدا كل منهم يدعى أنه حصل بطريقة ما على أقدم النسخ وأن التناقضات فى نسخته أقل مما عند غيره (أين هذا من القرآن الذى لم يتغير فيه حرف واحد منذ ألف وأربعمائة سنة) .

ويقول الدكتور مورتكات فى كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم) ص٢٧٣ : « لا يمكن الاعتـماد من الناحية الـعلمية علـى أساطير التوراة (العـهد القديم) إذ برهنت الأحداث الأثريـة على عدم صحة أكثر تلك الأساطيـر التى وردت فيها ، كما توجد أبحاث تبرهن عكس تلك الأساطير » .

ويعترف اليهودى سيلفر صراحة بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى من أية ناحية .

ويقول نتودور فى كـتابه (تاريخ العالم) ١٠٨/٢ : « أخبار الـكتاب المقدس جاءت فى عهد متأخر وقصاراها أن تمدنا ببـيان ناقص مشوب بالهوى ، وتاريخهم بأسره من عمل الخيال » .

ويقول الشـيخ رحمة الله الهـندى : طلبنا مراراً من عـلمائهم الفحـول السند المتصل فما قدروا علـيه ، وهم يتمسكون بالظن والحقيقة أن أسـفار العهدين ليس فيها شـىء من عند الله، ولا عـلى لسان موسى وعيـسى - عليهمـا السلام - وقد يكون فيما جاء فيهما ما يوافق بعض تشريعات الله كتحريم الخمر مثلا .

الإنجيل :

أنزلت التوراة على موسى - عليه السلام - أما الإنجيل فأنزل على عيسى - عليه السلام - وهو غيـر الأناجيل الأربعة المتداولـة اليوم بأيدى الناس ، والتـى اختارها رجال الكنيسة الكاثوليكية من بين أربعمائة إنجيل ، كتبها الناس فى عهود مختلفة، والأناجيل الأربعة (إنجيل متى ، وإنجيل يـوحنا ، وإنجيل مرقص ، وإنجيل لوقا)

التى تعتمدها الكنيسة كتبت بعد رفع المسيح بخمسة وثلاثين عاما إلى مائة وعشرين عاما ، ومن هنا فإنها تتضمن سيرة عيسى ـ عليه السلام ـ كما فهمها كتابها لا كما حدثت فعلا ، يحدثنا الدكتور عـمر فروخ أن أستاذه المستشرق (يوسف هل) أن مارتن لوثـر كان وهو يضع مذهـبه الإصلاحى للنـصرانية الكاثـوليكية يطـالع فى صحف بين يديه ، وكان القـرآن قد نقل إلى اللغة اللاتينية قبـل لوثر بأربعة قرون تقريبا .

ويقول (بروتوباور) الذى قدم ١٨٤٠ دراسة عن (نـقد تاريخ إنجيل القديس يوحنـا) ثم بحثـه الآخر (نقد تاريـخ الأناجيل الأربـعة وإنجيل يـوحنا) : « إن الأناجيل لا تتضمن نصوصا صحيـحة صدرت عن نبى الله عيسى ابن مريم ، وإن كافة النصوص المنسوبة إليه هى من اختلاق ووضع الكتاب المعاصرين » .

ثم مضى بروتوباوبر ـ على ما يروى محـمد أبو القاسم حاج محمد ـ فصب مزيداً من الزيت على النار الملتـهبة حين أصدر ١٨٥٢ دراسة فى برلين تحت عنوان (نقد التفسيـر اللاهوتى للإنجيل) مؤكدا هذه المرة على إحـدى دواهى القرن التاسع عشر ، وهـى عدم وجود ترابط تاريـخى بين العهد الـقديم كما يبرزه الـيهود ، والعهد الجديد كما تتضمنه الأناجيل .

وقد أثبت (أرنولـد توينبى) ـ الذى يمثل الـلاأدرية فى التفكير الـغربى ـ فى حوار بينه وبين عالم الديانات المقارنة اليهودى (روزنتال) أن نصوص الإنجيل ـ أو الأناجيل ـ لا يحمل سوى أربع مقاطع فقط يمكن نسبتها إلى عيسى ـ عليه السلام ـ بما فيها نص ينفى فكرة الحلول والتجسد عن المسيح (التايمز ٣٠/١٢/١٩٧٥) .

وقد أشار أكثـر من باحث غربى إلى أن فى الأنـاجيل عدة تناقضـات ، منها تحديـد عمر الأرض بخـمسة آلاف سنـة ، والقول بأن الأرض عـميدة الكـواكب وأكبرها وأنها وطيدة ثابتة تدار مـن حولها ولا تدور ، وهذا فى نفس الوقت الذى كان القرآن يدرس فى جامعات قرطبة وبالرموا وفيه النص الإلهى : ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب** ﴾ [النمل : ٨٨] .

* * *

وقد أشار الشيخ رحمة الله بن خليل الهـندى فى مناظرتة للقس بغندر إلى أن الإنجيل يكشـف للمتتبع لأسانيـده عن شك الدارسين فى نسبـة بعض الأقوال إلى أصحابها ووجود دلائل قوية على هذا الشك :

١ ـ الروايات المتناقضة بين سفر وآخر (وقد ساق خمسة وأربعين نموذجا منها) .

٢ ـ التناقضات الكبيرة بين الأناجيل الموجودة (ذكر منها تسعة وخمسين نموذجا) .

٣ ـ أغلاط التوراة والإنجيل (استخرج سبعا وثلاثين غلطة فى التوراة أخطأ واضعوها فى ذكر بعض الحقائق التاريخية والأرقام) .

٤ ـ استخرج ثلاثة وسبعين غلطة من الأناجيل اعترف بها المبشرون النصارى .

٥ ـ ناقش دعوى المبشرين بأن أسفار العهد القديم كتبت بالإلهام وساق أدلة تاريخية تظهر آثار العمل التبشيرى وضعفه فيها .

٦ ـ ناقش التحريف اللفظى فى أسفار العهد القديم والأناجيل ، وقارن بين نسخ التوراة العبرانية واليونانية والسامرية ليظهر اختلافها وتناقضها مع الحقائق التاريخية والمنطق فى واحد وثلاثين موضعا .

٧ ـ ساق خمسة وأربعين شاهداً تظهر الزيادات اللفظية ، والتى أظهر مفسرو العهد القديم النصارى شكهم فيها وخمسة عشر شاهداً تؤكد أن المحرفين حرفوا بعض الألفاظ والعبارات لأسباب كثيرة ، كما ذكر شواهد تثبت التحريف بالزيادة والنقص فى الأناجيل .

٨ ـ أثبت النسخ للأحكام التى كانت موجودة قبل التوراة ثم نسخت فى التوراة ، والأحكام التى قررتها التوراة ثم نسخها الإنجيل ، الأمر الذى يثبت أن هذه الشرائع محدودة بزمان معين ، وأن التوراة والإنجيل نسخا بظهور الإسلام .

٩ ـ إثبات أن التوحيد أصل فى المسيحية وله أدلة كثيرة فى نصوص العهد القديم ، وناقش دعوى ألوهية المسيح وحلل الألفاظ الواردة فى الأناجيل والتى تجعل المسيح ابن الله تارة ، وتارة روح الله ، وتارة جسداً حل فيه الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ ويظهر تناقض هذه الآراء وفسادها .

١٠ ـ إثبات إعجاز القرآن : اللغوى والفنى والعقلى ، والحوادث التى تنبأ بها ووقعت بعد ذلك .

١١ ـ إثبات نبوة محمد ﷺ ونبوءاته التى تحققت ، والمعجزات التى ظهرت على يديه .

١٢ ـ الرد على مطاعن القسيسين على الأنبياء ، وادعائهم أنهم غير معصومين فى

غير التبليغ ، ويورد روايات التوراة والإنجيل الـتى تتهم الأنبياء بالكذب والزنا والخداع .

١٣ ـ أظهر مدى تعصب النصارى خلال التاريـخ وتطاحن فرقهم ، وشراستهم فى عداوتهم مع بعضهم بعضا ومع غيرهم .

كشف الـشيخ رحمة الـله بن خليـل الهندى فـى كتابه (إظهـار الحق) وفى مناظرته مع القسيس بغندر ومع القسيس كينى فى ثلاث رسائل فى رد المبشرين عن البعث والحشر وإثبـات وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل وقد اعـترف بغندر أمام الناس بوجود التحريف فى الإنجيل .

وكتاب (إظهار الحـق) من أعظم الكتب التى قـدمت أدلة حقيقية لـلتحريف اللفظى والمعنـوى فى التوراة والإنجيل وبين أن كتب أهل الكتاب قد فـقدت قيمتها بظهور القرآن ، وبين أن عقـيدة التثليث عقيدة باطلة ، وأثبـت إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ .

* * *

ولم تكـن مناظرة الشـيخ رحمة الله إلا واحـدة من مناظرات عـدة عقدت ، وهنـاك المناظـرة التى جرت بـين الشيـخ عبد الـله الفـيشاوى وبين الـقس نلـسن الدنمركى، وفى مناظرات الشيخ أحمد ديـدات المتعددة يظهر أن الأناجيل الموجودة الآن فى أيدى النصارى تختلف عن بعضها البعض .

وإن أول إنجيل طبع عـام ١٦١١ فى عهد الملك جيمز وأحرقـت كل الأناجيل التى قبله والإنجيل القديم باللغة الرومانية الـقديمة واللغة الإغريقية لم يعد له قيمة بعد إنجيل جيمز .

وليت الأمر توقف عند هذا الحد لكن إضافات متعددة وتعديلات كثيرة طرأت على الإنجيل بعد ذلـك ، من بينها تعديل سنة ١٩٥٢ وتعديـل سنة ١٩٧٢ فأيهما نصدق .

إننا إذا راجعنا هذه الأناجيل نجد فيها اختلافات حادة فأريد أن أحدد أيها كلمة الله .

(وكان يقصد بالإنجـيل الكتاب المقـدس الذى يحـوى الإنجيل والـتوراة) أو مـا يسمى بإنجيـل العهد القديم وإنجيل العهد الجـديد وكـلام الإنجـيل ينقـسم إلى

ثلاثة أقسام :

١ ـ كلام قد يكون على لسان الله مباشرة وحيا .

٢ ـ كلام على لسان المسيح نفسه كتعاليمه لتلاميذه .

٣ ـ كلام قاله طرف ثالث سواء من الرواة أو المؤرخين وليس من الله ولا من سيدنا عيسى ـ عليه السلام .

أما نحن المسلمين فليس عندنا هذه المشكلة ، فالقرآن كلام الله تبارك وتعالى، والسنة كلام الرسول ﷺ والتاريخ كلام المؤرخين ، ولا شك أن أيدى بشرية عبثت بهذا الإنجيل لأن هناك أشياء يخجل الإنسان من قراءتها أمام أهله أو بناته وأولاده، وضرب مثلا بالآية رقم ٣٢ فى (حزقيال) وهى تحكى قصة أختين مشيتا فى طريق الغواية والرذيلة وتصف هذه الآية مدى حب هاتين البنتين للجنس وللرجال، حتى إنه جاء بها أوصاف جنسية غاية فى الانحطاط نستحى نحن من ذكرها .

(وتحدى الشيخ ديدات فى مناظرة القس سوجارت أن يقرأ هذه الآية مقابل مائة دولار أخرجها من جيبه ولوح بها ، ولما قرأها القس بصوت خافت وعلى خجل شديد جعل جمهور المسيحيين الحاضرين يضعون أيديهم على وجوههم خجلا ، وقد خيم على القاعة سكون رهيب ووجوم مخيف) ا.هـ .

(النصوص فى الإصحاح ٢٣ من سفر حزقيال ، والإصحاح السابع من سفر نشيد الإنشاد حيث يوجد وصف لجسد المرأة يخجل منه أكثر الناس مجونا وعربدة) .

ويشير الشيخ أحمد ديدات إلى هذه النقطة بالذات فى توسع فيقول : إن القس سوجارت يقول بأن الإنجيل يحتوى على عشر حوادث من الزنا ، فهل يعقل أن كتابا من عند الرب يحوى هذه الحوادث .

ونسأل : لماذا يقوم الرب بإعطاء صورة تفصيلية لعشرة أحداث من الزنا بين الأقرباء فى كتاب مقدس ؟ إذن فهذا الكتاب ليس من كلام الله .

كذلك يقول لنا أساتذة الإنجيل بأن الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم لم يكتبها موسى ـ عليه السلام ـ ولكنها كتبت بواسطة أشخاص آخرين . . وهذه الكتب الخمسة تحمل أسماء الأشخاص الذين كتبوها مع عبارات موضوعة بين أقواس تقول بأن هذه الكتب هى كتب موسى ، وأنا أتساءل : لم هذه الأقواس ؟

الجواب هو : لأن هؤلاء الأشخاص يريدون أن يقولوا لنا بأنهم لا يصدقون بأن هذه كتب موسى ، ولكن الشخص العادى يصدق ، ولذا فهم يعطونه ما يريد أن يسمع . وفى هذه الكتب نجد أن الكلام يكون دائما بصيغة الغائب مثل : إن الرب قال لموسى كذا ، أو إن موسى قال للرب كذا ، فلو كان موسى هو الذى كتب هذه الكتب لقال بأن الرب قال لى أو قلت للرب . ولو كان الكتاب من عند الرب لقال بأنى قلت لموسى كذا ، ولكن هذا دليل على أن الذى كتب هذه الكتب هم أشخاص آخرون ، ولهذا فهذه الكتب ليست من عند الله .

وقال الشيخ ديدات : هناك تسعة نصوص للإنجيل مطبوعة فى كتيبات يتداولها الناس خارجة عن الأدب مأخوذة عن الإنجيل ، هذه النصوص موجودة فى أحد الأناجيل وأتحدى أى مسيحى أن يقرأها على زوجته أو ابنته مع أنها فى كتبكم التى تقولون إنها من كلام الرب ، وأنا أتحدى القس سوجارت بأن يفتح الإنجيل ويقرأ هذه النصوص . **﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾** [النساء : ٨٢] .

مثال ذلك : الإنجيل يقول : إن سليمان ـ عليه السلام ـ كان لديه ٤ آلاف إسطبل للخيل بينما فى إنجيل آخر فإن العدد ٤٠ ألفا بفرق صفر واحد ، ولكن اليهود لم يكونوا يعرفون الصفر فلقد أخذه إخواننا العرب من أجدادى فى الهند ، فهل يعنى ذلك بأن الرب أخطأ فى الرقم ؟

تقول إحدى الناقدات المشهورات عن الإنجيل : ولا حاجة لهداية تكذب بأن الإنجيل الذى نقرؤه اليوم هو من عمل ناسخين عديدين قاموا بعمل جيد ، ولكن هذه النسخ لم تخل من الأخطاء ، ولذا فإن الرب لم يحفظها ، هل تعلم بأنه فى مجموع ٢٤ ألف نسخة للإنجيل لا يوجد اثنان متشابهان ، فكيف نعرف بأن هذا الإنجيل كلام الرب وذلك ليس بكلامه .

كذلك فإنك حين تفتح التوراة أو الإنجيل فإنك ترى مكتوبا فى البداية عبارة تقول بأن هذا هو الإنجيل كما رواه (مانيو) ، وهذا كما رواه (يوحنا) ، وذلك كما رواه (لوقا) ، وهكذا ، فى معنى عبارة : (كما رواه) التى تتكرر دائما ؟

الجواب هو : لأن مانيو ويوحنا ولوقا لم يكتبوا أسماءهم على هذه الأناجيل، ولكنها كتب عليها أناس مجهولون ونسبوها إلى الله .

إذن فليس هذا بالإنجيل ، وحتى فى العربية نجد عبارات مثل إنجيل مرقص،

إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا ، إنجيل متى (مـانيو) ، ولكن الذى نصدقه ونعترف به نحن هو إنجـيل عيسى ـ علـيه السلام ـ ويقولون بـأن مرقص ويوحنا ومـتى ولوقا ذهب كل منهـم إلى جهة مختلفة ليـعلم الإنجيل ، فهل كان يحـمل الإنجيل تحت إبطه حين ذهب ، كلا ، ولكـنه كان يعلم الناس مما سمعه مـن الإنجيل المنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ وهو الإنجيل الذى نصدقه .

فإذا استطعتم أن تظهروا لنا إنجيل عيسـى فنحن مستعدون للاعتراف به وقبوله على أنه كلام الله .

كذلك فإن فى إنجـيل مانيو وإنجيل لوقا نجـد بأن المسيح أعطى نسـباً يعود إلى ٦٦ أبا وجدا وكل الأسماء التى أعطيت فى الإنجـيلين مختلفة ، والغريب أن الرب الذى يزعم المسيحيون بأنه أب يسوع لا وجود له بين هذه الأسماء .

نحن المسـلمين نعتقـد أن المسيح ـ عليـه السلام ـ كانت ولادته مـعجزة بدون الحاجة إلى برهان من المسـيحيين ، وبأنه كان المسيح ، وبأنه كان كلـمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .

* * *

ويلخص الـشيخ محمد أبـو زهرة فى كتابه (مـحاضرات فى النصـرانية) ما يتعلق بالأناجيل فيقرر :

١ ـ أن الأناجيل الأربـعة المعتمدة لـديهم ليست مـن إملاء المسيح وإنما كـتبت من بعده.

٢ ـ التساؤل حول افتراض أن يكون هناك إنجيل مفقود يتضمن تعاليم المسيحية التى جاء بها المسيح ـ عليه السلام .

٣ ـ إنجيل برنابا المرفوض من قبل المسيحيين وصحة نسبه وقيمته .

٤ ـ ما نزل بالمسيحيـين من اضطهاد كان له أثره فى انقطاع السنـد المتصل بصاحب الشريعة ،وما رافق ذلك من امتزاج مفاهيم الفلسفة الرومانية بتعاليم المسيحية، وأثر الأفلاطونية الحديثة فى النصرانية .

٥ ـ أن الشروط الـتى تؤهل الكـتاب الدينى لـيكون حجة حـين تطبق علـى كتب النصـارى يظهر أن هذه الـكتب ليسـت على شيء ، فـهى تقوم علـى أربعة عناصر :

أ ـ التثليث وهو الإيمان بثلاثة أقانيم .

ب ـ صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره ورفعه .

جـ ـ أنه يدين الأحياء والأموات .

د ـ تقديس الصليب والتعميد والعشاء الربانى ، وتحليل المحرمات كتحريم لحم الخنزير المحرم فى التوراة .

٦ ـ عصر تأليه المسيح بدأ بعد انعقاد مؤتمر نيقية ، ثم انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية .

٧ ـ أن فكرة ألوهية المسيح والروح القدس هى فكرة عارضة وطارئة على العقل المسيحى ؛ لأنها لم تكن فى المسيحية الأولى .

* * *

وكان جريجوار حداد مطران بيروت للروم الكاثوليك قد تزعم الدعوة إلى إعادة النظر فى الأناجيل ، وطلب إعادة تدوينها بلغة عصرية ، وقال : إنه ليس كل ما كتبه المسيح قد وصل إلينا ، والذى كُتبَ كتبت بلغة عفى عليها الزمن ، والذى بين أيدينا ناقص كميا ونوعيا ، وطالب بإعادة النظر فى القضايا الإيمانية كلها كالله والمسيح والكنيسة ، وقال : إن تعاليم المسيح ضاعت لسوء استقلال الكنيسة لها ، ولأنها احتكرت المسيح كما تحتكر أى شركة تجارية أى صنف من البضائع أو كما تحتفظ دار نشر بحقوق الطباعة على أحد المؤلفات ، وصار المسيح أسير الكنائس ورهينها محجوز عليه من قبلها ، لا يصل إليه أحد إلا بواسطتها ، وبما أن الكنائس ـ على حد تعبيره ـ أصبحت مرفوضة أكثر فأكثر فى عالم اليوم من الذين هم فى الخارج بل فى الداخل ، فقد أصبح المسيح مرفوضا معها .

ثم قال : إن النظام الكنسى يحول دون وصول المسيح إلى الأمة كلها ، ومعنى هذا أن النظام يجب أن يزول ، وعلى الكنيسة أن تموت ، وتبتغى كف (وضع اليد) الذى مارسته الكنيسة على المسيح . إن الاستعمار المسيحى للقيم الإنسانية الغربية بكاملها حتى الملحدة منها ، تلازمت طويلا مع إمبريالية الحضارة الغربية حتى الملحدة منها وهما ضد الإنسان وضد المسيح .

وكانت الكنائس منذ وقت طويل قد عملت على ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية ـ يقول أحمد فارس الشدياق فى كتابه (كشف المخبا عن فنون أوربا): إنه كان يعرب التوراة أثناء وجوده فى إنجلترا ، وكان يشرف على الترجمة قسيس

إنجليزى يعرف شيئا من الدين ، فكان كلما كتب الشدياق جملة فصيحة سارع إليه القسيس ومسخها ويستبدل بها كلمة ركيكة ، وهكذا كان القسيس يقف أمام الشدياق ليبدل الجملة الرفيعة الأسلوب بجملة ساقطة ، فإذا سئل القسيس عن الهدف من وراء ذلك أجاب بأنه إنما يريد أن يباعد بين أسلوب التوراة وأسلوب القرآن . ويشير إلى هذا المعنى الأمير شكيب أرسلان فى مقاله المصدر به كتاب (تحت راية القرآن) للرافعى .

ولكن سرعان ما اكتشف القوم أنه لا بد من إنجيل جديد مختزل . وقد قامت مجلة (ريدرز وايجست) بإصدار إنجيل جديد مختصر يحتوى على ٣٢٠ ألف كلمة فقط ، أى ما يعادل ٤٠ ٪ من النص الأصلى الموجود بالأناجيل ، وذلك بعد الحصول على موافقة مجلس الكنائس العالمى ، وقام بالتلخيص خبراء تسعة، يشرف عليهم القس بروس، وذلك منذ ست سنوات (أكتوبر ١٩٨٢).

ويحمل الخبر تصويرا بليغا لمأساة أصحاب الأناجيل الأربعة المتداولة ، فالإنجيل المختصر مأخوذ من إنجيل واحد من الأناجيل الأربعة وقد وصلت الأناجيل إلى سبعين إنجيلا .

أين ذهب ستون فى المائة من النص الأصلى للأناجيل المتداولة ؟ وهل ما استبعد لا فائدة ترجى من ورائه أو أنه اختصاراً للجهد والوقت ؟ فالثابت أن الأناجيل الأربعة المتداولة بأيدى النصارى ليست من عند الله - تبارك وتعالى - وليس فيها أى ذرة من القداسة ، ولا يمكن لنا أن نقول عنها إنها من السماء والثابت أن هذه الأناجيل المتداولة تم اختيارها من نحو سبعين إنجيلا فيما يطلق عليه المجمع المقدس ، وقد أتلفت باقى الأناجيل ، وهو يخالف ما يقوله المبشرون فى منشوراتهم التنصيرية ، حيث يدعون أنها كتب من عند الله ، ولا يمكن مناقشتها أو دراستها .

إنجيل برنابا :

الأناجيل المقررة لدى المسيحيين لا تقاس على القرآن الكريم ، وإنما تقاس على كتب السيرة . فقد كتبها أفراد من الناس وجمعوا فيها تاريخ الأنبياء وحياتهم وما اتصل بأمرهم بعد وليس بينها (الإنجيل) الذى ذكر القرآن أنه أنزل على عيسى - عليه السلام - فهى جميعا منسوبة إلى كتابها من تلاميذ المسيح - عليه السلام .

وهى - كما أورد ذلك أحمد عادل كمال فى بحث ضاف - :

أولا : تنص على أن المسيح قد صلب ، وينفى ذلك القرآن .

ثانيا : تغفل التبشير بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ويقول القرآن إن عيسى قال عن نفسه : ﴿ **ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦].

ثالثا : تفسخ الأناجيل القول بألوهية المسيح بصورة أو أخرى وينفى ذلك القرآن .

رابعا : يتصل صلب المسيح عند المسيحيين بعقيدة الخلاص ، وهى أن المسيح بصفته الإلهية قد جاء إلى الأصل ليتعذب بهذا الصلب فيمسح عن البشر الخطيئة الأولى الموروثة بعصيان آدم ربه فى الجنة ، والقرآن الكريم يقرر أن ﴿ **لا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ .

ومن حيث تجمع الأناجيل الأربعة على هذه الأمور ، فإن إنجيل برنابا ـ وهو أحد حوارى السيد المسيح ـ يتفق فى هذه النقاط مع عقيدة المسلمين .

كان هذا الإنجيل شائعا فى عصر جاسيوس البابا الذى اعتلى البابوية ٤٩٢ م ، والذى نهى عن قراءة الأناجيل (ما عدا الأربعة) وقد وجده الراهب فرامنيو فى مكتبة البابا سكتس الخامس (أواخر القرن ١٥) نسخة باللغة الإيطالية فقرأه واعتنق الإسلام على الأثر ، ويحكى إنجيل برنابا رفع المسيح دون أن يصلب ، وأن يهوذا تغير فى النطق وفى الوجه فصار شبيها ليسوع (حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع)، وجاءت صفة الرسول مرات عديدة تصل إلى خمس عشرة مرة ، وأسلوب غير أسلوب الأناجيل الأخرى وتبدأ سطوره بكفر من قال إن المسيح ابن الله والرافضين الختان ، ويؤكد على سنة الختان ويقرر أن ختان المسيح حدث بعد أن تم ثمانية أيام، ويؤكد نجاسة غير أهل الختان ، وأن الكلب أفضل من رجل غير مختون ، وأن الله أمر إبراهيم بالختان وأن أول ختان فعله آدم وحافظ عليه أولاده .

وقد كتب الراهب (فرا مرينو) قصة عثوره على إنجيل برنابا ، فى مقدمة النسخة الأسبانية ـ على ما ذكر المستشرق سايل ـ فى مقدمته لترجمة القرآن الكريم، وقد ترجم النسخة الأسبانية الدكتور منكهوش ١٧٨٤ م ، ثم اختفت بعد ذلك وهى مدونة فى صدرها أنها مترجمة عن الإيطالية بقلم مسلم أورغانى اسمه (مصطفى الغرندى) ومصدرة بقصة الراهب (فرا مرينو) ، والنسخة الوحيدة المعروفة الآن فهى نسخة إيطالية فى مكتبة بلاط فينا ، عثر عليها سنة ١٧٠٩ كريمر تولند أحد مستشارى ملك بروسيا .

وقد حاول الدكتور هوايت أن يقول : إن إنجيل برنابا له أصل عربى فى المشرق ، وهو زعم يراد به التشويش على عقليات النصارى لصرفهم عن النظر فى إنجيل برنابا بعين الجد (وقال ذلك المستشرق سايل) وغنى عن الذكر أنه لم يعثر قط على نسخة عربية قديمة لإنجيل برنابا ،ولا أشار إليه أحد قط فى كتابات سابقة، وقد دحض مرجليوث شبهة وجود أصل عربى لهذا الإنجيل .

وفى عام ١٩٠٨ م ترجم خليل سعادة إنجيل برنابا من الإنجليزية إلى العربية ، الذى يرى أن الكاتب يهودى أندلسى اعتنق الدين الإسلامى بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى ، وقد وجد فيه إلماما عجيبا بأسفار العهد القديم ، لا يكاد يجد له مثيلا بين طوائف النصارى إلا فى أفراد قليلين من الأخصائيين .

ويعنى وجود هذا الإنجيل قبل بعث النبى محمد ﷺ بزمن طويل أما برنابا فهو احد الحواريين من أنصار المسيح - عليه السلام - أعلن فى مقدمته أن بولس قد انفرد بتعليم مخالف لما يلقاه الحواريون عن المسيح وأن تعاليمه هى التى انتشرت وغلبت وسادت المعتقدات المسيحية ، وتذهب دائرة المعارف الفرنسية إلى أن إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا من وضع بولس .

وهذه نصوص من إنجيل برنابا : قال عيسى - عليه السلام - : « يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذى تستقر على رأسه عمامة بيضاء يعرفه أحد مختارى الله، وهو سيظهره للعالم وسيأتى بقوة عظيمة على الفجار ، ويبيد عبادة الأصنام من العالم . الذى سيأتى من الجنوب بقوة ، وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام وستنزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتى برحمة الله خلاص الذين يؤمنون به ، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا . قالوا : يا معلم ؛ مَنْ عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتى إلى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله ، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة العزيزة التى يأتى بها كما يجعل المطر الأرض تعطى ثمرا بعد انقطاع المطر زمنا طويلا ، فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله ، وهى رحمة ينشرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث » .

* * *

وفى موضع آخر : يقول عيسى يسوع المسيح :

« سيأتى بعد بهاء كل الأنبياء الأطهار فيشرق نورا ، جاء الأنبياء كلهم إلا

رسول الله الذى سيأتى بعدى لأن الله يريد ذلك حتى أهيئ طريقه .

لماذا تبشر بتعليم جديد ، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا ؟

قال المسيح : لست أحب نفسى نظير الذى يقولون عنه لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى يسمونه مسيا الذى خلق قبلى ، وسيأتى بعدى ، وسيأتى بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان ؛ لأن هكذا وعد الله إبراهيم ، صدقونى لأنى أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق ، ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم ، صدقونى إنى رأيته وقدمت له كل الاحترام كما رآه كل نبى .

إنى قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذى سيأتى بخلاص العالم ، ولكن احذروا أن تغشوا ؛ لأنه سيأتى أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامى وينجسون إنجيلى. إنه لا يأتى فى زمنكم بل يأتى بعدكم بعدة سنين ، حينما يبطل إنجيلى ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا فى ذلك الوقت » ا . هـ .

هذه النصوص التى أوردها إنجيل برنابا تقترب كثيراً من الصورة الصحيحة لرسالة السيد المسيح ودعوته ودوره الذى أرسل للقيام به ، وهذه هى النصوص التى تخالف فيها المسيحية الغربية المعاصرة مع مفاهيم الإسلام والقرآن .

* * *

الخلافات بين الكتب المقدسة والإسلام :

١ ـ يعارض الإسلام نظرية التثليث ، والصلب ، والخطيئة ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة** ﴾ [النساء : ١٧١] .

٢ ـ يعارض الإسلام ألوهية المسيح ﴿ **بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة** ﴾ [الأنعام : ١٠١] .

٣ ـ يرفض الإسلام قصة الصلب رفضا تاما ، وينكر موت المسيح ، ويرى أنه رفع إلى السماء ، كما يرفض (التثليث) ، فالله تبارك وتعالى وحده هو الإله، كما يعارض الإسلام المسيحية معارضة حاسمة فى زعمها أنها آخر الأديان، فقد جاء محمد ﷺ بعد المسيح ، وتحدث السيد المسيح إلى أتباعه بأنه مبشر بالرسول الخاتم .

* * *

وهذه جملة حقائق أساسية :

أولا :

السيد المسيح رسـول من عند الله وليس إلها ولا ابنا للإله أمـا مقولة النصارى بأن المسيح إله تجسـد فى صورة بشر ليكون البشر أهلا للقـائه ، وكان نزوله رحمة وخلاصا للبشرية ، فهى مقولة باطلة لا يقرها الإسلام .

ثانياً : الخطيئة :

لا يقر الإسلام مفهوم الخطيئة وأن عيسـى ـ عليه السلام ـ جاء وصلب تكفيرا عن خطيـئة من آمن به (أى بالمسيـح) من ذرية آدم ، ومن لم يؤمن بالمـسيح أنه مات فداء عنه لم يزل خاطئا بالوراثة .

ويقرر الإسلام أن الإنسان مسؤول عن عمله وليس له أن يتحمل خطيئة أحد، وليست هناك خطيئة لأحد مهما كان تنسـحب على الناس جميعا أو البشرية كلها ، بل ناط الإسلام بـكل إنسان تبعة أعمـاله وتصرفاته ، ذلك أن الإسلام أقام حرية الاختيـار والمسؤولية الـفردية ، وقرر أن الأصل فى الإنـسان الخير علـى خلاف ما تقول به أديان أخرى ، من أن الإنسان خلق خاطئا ، أو كان فى أول أمره دنساً .

ويقـرر القرآن أن الإنـسان خلـق طاهـرا وخلق تـاما ، ولا يقـر الإسلام أن الخطيـئة موروثة فى الإنـسان قبل ولادته ولا أنـه يحتاج إلـى أن يأتى من يتـحمل خطيئة البشر جميعا .

يقول جوستـاف جروبنام : « إن الإنسان الإسلامى على خـلاف غيره لا يبوء تحت وطأة الخطيئة الأصلية التى تحكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد » .

ثالثاً : عقيدة الثالوث :

وهذه العقـيدة دخلت على المسيـحية من الديانات الـوثنية فى مصر الفـرعونية والهند . ويقرر الأستاذ محمد عزت الطنطاوى أن عقيدة الثالوث أول من نادى بها ترتليان فى القرن الثانى ٢٠٠م الميلادى ، فهى عـقيدة دخيلة على النصرانية الحقة الموحدة ، وقد غلبت عقيدة الثالوث على كثير من الديانات التى سبقت النصرانية:

١ ـ ففى الهند : الثالوث البرهمى (براهما وفيشنو وسيفا) .

٢ ـ وفى الديانات اليهودية : الثالوث النورى الإله (النزفانا) نودا الأب والروح القدس .

٣ ـ وفى بلاد الصين : الثالوث الصينى (أى دين الإله غير المنظور دتى سميز (وهو الشمس) وتشانح وهو أرواح الآباء والحكماء .

٤ ـ وفى بلاد الكلدان : الثالوث المكون من بعل (إله الشمس) وعشرون (إله الجمال) وتموز (إله الخصب والنماء) .

٥ ـ وفى الفرعونية : (أتون ـ أمون ـ رع) الوجود والحكم والحياة .

ولقد كانت الدولة الرومانية تدين بالوثنية قبل أن تدخلها المسيحية ، وقد شوهت دعوة السيد المسيح إلى الوحدانية ، وخلطت بها الآراء الفلسفية ، فكونت عقيدة مستحدثة هى عقيدة الثالوث التى لم تكن تعرفها الأجيال الأولى للمسيحية.

وقد عانت النصرانية من اضطهاد وحكام الرومان طيلة ثلاثة قرون ، ثم صدر سنة ٣١٢ م مرسوم جعل به الإمبراطور قسطنطين النصرانية ديانة مرخصة وساوى بينها وبين الديانات الأخرى داخل الامبراطورية الرومانية .

وحدث خلاف شديد بين (أريوس) شيخ كنيسة بوكاليس بالإسكندرية ، وبين بطريرك كنيسة الإسكندرية حول شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ فقد نادى (أريوس) بأن المسيح ليس أزليا وإنما هو مخلوق من الأب ، وأن الابن ليس مساويا للأب فى الجوهر ، والمسيح ليس مساويا لله بل هو مخلوق .

وتعنى الأريوسية وحدانية الله تبارك وتعالى مع عدم الخلط بين المسيح وبين الله جل شأنه ، ويغلب التوحيد على هذه العقيدة ، أما عقيدة كنيسة الإسكندرية ـ فيما يسمى عقيدة الأرثوذكسى ـ فالذى حمل لواء الدعوة إليها (اثنا سيوسى) بطريركها ، فتتلخص فى أن المسيح إله غير مخلوق وأنه مساو لله فى الأزلية والجوهر ، وكذلك الروح القدس ، فالأب إله والابن إله والروح القدس إله .

ولما اجتمع مجتمع نيقية الأول ٣٢٥ م رفض آراء أريوس ، وقرر ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله قديم غير مخلوق ، ثم فرضت تلك العقيدة على طوائف النصرانية فرضا يؤيدها سلطان قسطنطين ، رغم مخالفتها لما يؤمن به الكثير من الأساقفة عامة والشعب فى فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر ؛ لاعتناقهم عقيدة أريوس التى يغلب عليها التوحيد .

وقررت الدولة عزل (أريوس) عن كنائسها ، ولكن أنصار (أريوس) لم يستسلموا إلى العقيدة التى فرضها الإمبراطور فى مجمع نيقية، بل صمموا على المقاومة حتى استطاعوا عام ٣٢٨ م الضغط على الإمبراطور قسطنطين فأعاد أريوس وأتباعه إلى كنائسهم ، وصدرت من مجمع أنطاكية ثم مجمع صور قرارات تثبت معتقد أريوس ، وبدأ الصراع بين أنصار اثناسيوس وأنصار أريوس ، وكانت قرارات مجمع ميلالو ٣٥٥ م وسوميوم ٣٥٧ م مؤيدة لأريوس ، ووضع المجمع الأخير صيغة أنكر فيها مساواة المسيح لله تبارك وتعالى فى الجوهر ، ومازال الأريوسيون مسيطرين على المجامع حتى مجمع القسطنطينية ٣٦١ م ، غير أن الدولة الرومانية ما لبثت بعد سنة ٣٦١ م أن ارتدت عن التوحيد ، وعادت إلى عقيدة التثليث مرة أخرى فى عهد الإمبراطور (بوليانوس) ، الذى أغلق جميع الكنائس وسلمها إلى الوثنيين ٣٦٣م ، وكان يعادى عقيدة الأريوسيين ، فقد حرمها وأقام عليها حكاما ممن لا يدينون بتلك العقيدة وأرسل إلى اثناسيوس بإطلاق يده لنشر عقيدة الثالوث . فلما جاء الإمبراطور تاوديوس ٣٧٩م عمل على إلغاء المذهب الأريوسى كلية ، والانتصار لعقيدة اثناسيوس . وهكذا ساد التثليث وقضى على عقيدة التوحيد بعد أن قاومها الأريوسيون أكثر من نصف قرن (٣٢٥م إلى ٣٧٩ م) .

* * *

وقد اعترف كبار علماء اللاهوت (قاموس الكتاب المقدس) بأن كلمة التثليث لم ترد فى الكتاب المقدس ، ويظن أن أول من صاغها واستعملها هو (ترتليان) فى القرن الثانى للميلاد ، وقد خالفه كثيرون ، ولكن مجمع نيقية أقر التثليث ٣٢٥ م ، ثم استقر التثليث بعد ذلك عن الكنائس النصرانية على يد أوغسطيوس فى القرن الخامس الميلادى .

ويقول أردلف هرنك (أستاذ تاريخ الكنيسة فى جامعة برلين) : « إن صيغة التثليث هذه التى تتكلم عن الأب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها وجود فى عصر الرسل وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا ».

ويؤكد هذا كتاب النبى محمد ﷺ إلى هرقل إمبراطور الدولة الرومانية حين دعاه إلى الإسلام حيث قال :

(إنى أدعوك بدعاية الإسلام : أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين) فالأريسيين هم أنصار عقيدة التوحيد المجرد التى دعا إليها المسيح ـ عليه السلام ـ وحواريوه المخلصون ، والذين غلبوا على أمرهم، وحرمت عقيدتهم بفعل أنصار عقيدة التثليث ، بمعنى أن النبى ﷺ حمّل إمبراطور الروم فى حالة إعراضه عن الإسلام (وهو دين التوحيد) إثم تحريم عقيدة دعاة التوحيد السابقين أيضا ، وهم الأريسيون فى مفهوم حكام الدولة الرومانية ، فعلى الحاكم إثم الصد عن سبيل الله ومنع الدعوة إليه » ا.هـ .

ولقد ظلت عقيدة التثليث مثار اضطراب العقول المتحررة فى الغرب ، ذكر ذلك كثير من الذين دخلوا الإسلام وغيرهم . يقول مؤلف (تاريخ الحضارات العام ـ الجزء الرابع) بإشراف موريس كروزنة ص ٥٣٨ : « إن القول بالثالوث الأقدس يبقى العقل حيالها حائراً لا يستطيع النفاذ إليها ، وهو أمر لا يتصوره الخاطر ، وهى عقيدة وقفت دوماً حجر عثرة لدى العقول ، وحالت كثيرا دون اعتناق الناس لها أو دون استمرار من أحد على القول بها ، وعلى العكس من ذلك جاءت عقيدة الإسلام ممتدة من الأرض إلى العلا ، وهى وحدانية الله خالقه ، هو الكائن الحى الأبدى الأزلى السرمدى ، هذا الشعور لوحدانية الله تغلغل فى تعاليم الإسلام وسيطر على حياة المؤمن وهيمن على كل الفنون والآداب » .

رابعاً : الرهبانية :

﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ [الحديد : ٢٧] .

الرهبانية نتاج شرقى ، فقد ظهرت أول أمرها فى مصر وفلسطين ، ثم انتشرت تدريجيا إلى أجزاء متفرقة من العالم المسيحى وفى أوربا .

ولعبت الرهبانية دوراً هاما فى كثير من أحداث التاريخ يقول جولز ليروى فى كتابه (الرهبان والرهبنة فى الشرق) : « لقد تأثرت الكنيسة القبطية بعقائد قدماء المصريين . لما عرفوا أن الجسد زائل والروح باق احتقروا متاع الحياة الدنيا واعتبروه عبثا . يجب الخلاص منه ، حتى لا يقف حجر عثرة فى طريقهم إلى الخلود ، وهذا يفسر ترك الزهاد لعالمنا ورحيلهم إلى الصحراء حيث بدء حياة جديدة ».

ولقد عارض الإسلام الرهبانية - بمعنى اعتزال الحياة - ودعا جميع أبنائه إلى الاندماج فى المجتمع وقهرهم قهرا على الأخذ من منافع الدنيا ، واعتبر كل إيقاف للحياة على العبادة والزهد والنسك مخالفة صريحة لمفهوم الإسلام . ويدعو الإسلام المسلم إلى الزهد فى وسط مغريات الحياة وليس بالعزلة عنها ، وقرر الإسلام أن الزهادة ليست بتحريم الحلال ولكن أن تكون بما فى يد الله - تبارك وتعالى - أوثق منك بما في يدك . وأقوى صور الزهد فى الإسلام التضحية بالنفس فى سبيل الجماعة ، وقد دعا الإسلام إلى حفظ الدنيا وتنميتها فى إطار التقوى وتوجيهها إلى الله - تبارك وتعالى .

* * *

ويقرر ليكى فى كتابه (تاريخ أوربا الأخلاقى) بأن الرهبانية عجزت عن الحد من جماح المادة ، فقد بلغ التبذل والإسفاف غايتهما فى أخلاق الناس ، وسادت الدعارة والفجور ، وانقسم المجتمع إلى فئتين متناقضتين متباعدتين رهبانية متطرفة وفجور متطرف .

وكان الناس يرون فى الرهبانية السلبية مصادمة للفطرة الإنسانية التى بقيت مقهورة زمنا ثم تسربت إليها هى الأخرى عوامل الفساد الأخلاقى ، فأصبحت مرتعا للكبائر والمنكرات .

وكانت النكبة التى حاقت بالفكر الدينى تتمثل فى جناية رجال الدين بدس المعلومات البشرية التى كانت سائدة حينذاك ، وفرضوها حقائق ثابتة على عقول الناس ،واعتبروها من صلب الدين ، وكذبوا بل وكفّروا كل من يقول بخلافها وساموهم سوء العذاب .

وحينما جاءت النهضة الحديثة وتغيرت المفاهيم العلمية بالتدرج والترقى والتطور ، وقع الصراع بين العلم والكنيسة ، وانهزم الدين هزيمة منكرة ، وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده ، وتزعزع الفكر الدينى فى أوربا وفقد تأثيره على الضمائر والنفوس ، وأصبحت أوربا النهضة لادينية تقف بصرامة فى مواجهة النصرانية والأديان السماوية كلها وساد الاعتقاد بأن الفكر الدينى والفكر العلمى متناقضان متعاديان ، يستلزم الإيمان بأحدهما الكفر بالآخر .

وهكذا وقع المحذور الذى ساق أوربا إلى المادية بكل معانيها وإلى فصل الدين عن الحياة ، وأن الدين إذا كان لابد منه فهو قضية فردية تتعلق بذاتية الإنسان ولا

تتجاوزه إلى السياسة والمجتمع والدولة ، وأورث ذلك كله أن سادت الديانة المادية أوربا وأمريكا اليوم ، لا النصرانية وأصبحت الفضائل كلها فى الفائدة العلمية ، وأن القيم العليا والمبادئ السياسية هى النجاح المادى لا غير ، مما دعا الكاتب الأمريكى جون جينز أن يقول :

« إن الإنجليز يقصدون بنك إنجلترا ستة أيام فى الأسبوع ويتوجهون فى اليوم السابع إلى الكنيسة » ا.هـ .

الفصل الثانى

التنصير

التنصير

إن أخطر التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية فى هذه المرحلة من تاريخ أمتنا هى ما تخططه منظمات التنصير المبثوثة فى كل مكان من أجل احتواء الشباب المسلم وصرفه عن مفهوم الإسلام الصحيح ، ودفعه إلى مهاوى الخداع والإغراء وإخراجه من أصول عقيدته ومفهومها الأصيل الجامع المتميز فى العقائد والثقافات الغربية الوافدة ، وهى مؤامرة مستمرة لا يعتقد أنها أوقفت أو ستوقف يوما ؛ ذلك لأن هناك خطة مرسومة ترمى إلى تغيير (بنية الإسلام الحقيقية) وذلك بتفريغها من مفهومها الصحيح والجامع الذى يقوم على أساس أن الإسلام يجمع بين العقيدة ومنهج الحياة (المعاملات والأخلاق) بينما تتمثل كلها (دين) فى كثير من العقائد والثقافات على أنها علاقة خاصة بين الله تبارك وتعالى والإنسان ، لا تهم أحدا ولا تدخل فى محيط الحياة ، وهذه النقطة هى مصدر الخلاف الواسع العميق فى الفهم وفى التعامل مع الفكر الغربى (المترجم إلى لغتنا العربية من خلال قصص وتمثيليات ومذاهب وفلسفات) . وهذه النقطة أيضا هى منطلق الدعوة المثارة عن العلمانية والفصل بين الدين والمجتمع أو بين الدين والدولة .

ومنظمة التنصير : مؤسسة أكبر من اسمها وهى لا تقتصر فى عملها على التنصير المباشر الذى يعمل على إغراء بعض البسطاء للدخول فى دين آخر غير الإسلام ، ولكنها فى أوسع مفاهيمها إخراج المسلمين من الإسلام نفسه ليكون المسلم حائراً ، فإذ زاغت عقيدته بالشكوك والشبهات لم يعد مسلما ، وأصبح حربا على الإسلام ، مضطربا بين المادة والإلحاد .

وفى بعض البلاد تعمل القوى الأجنبية على التنصير فى مجال المدرسة والمستشفى والأسر الفقيرة المحتاجة إلى الطعام ، ولكن الأخطر من ذلك هو العمل المعمى المختفى وراء الثقافة ومواد التعليم فى المدارس والجامعات والصحافة ، وأبرز الخطط فى هذا الشأن هو (منهج الشك الفلسفى) الذى كان أول من طرحه فى أفق الفكر الإسلامى المعاصر الدكتور طه حسين ، واستمرت الدعوة إليه إلى اليوم فى محاولة لإثارة الشكوك والشبهات التى تأتى عن طريق التعليم والثقافة وتبقى سموم التبشير من وراء التعليم من ناحيتين :

أولا : من ناحية المناهج المقررة التى تخالف عقيدة الإسلام أساساً كنظرية دارون والعلوم الاجتماعية والإنسانية ومفاهيم فرويد وسارتر ودوركايم وغيرها ،

التى تقـدم للشباب على أنهـا علوم ، بينما هـى فى الحقيقة ليسـت إلا نظريات أو فروض تصيب وتخطـئ ؛ لأنها من عقل بشر ، ولأنها ترتبط ببـيئة ما وعصر ما ، وهى بذلك تختلـف عن المنهج الربانى الواسع الأطر ،العالمـى الوجهة ، الإنسانى الغاية ، القادر على الاستجابة مع المجتمعات المختلفة والعصور المتباينة .

ولما كان لكل أمة ثـقافتها وعقيدتها وأسـلوب معيشتها ، فإن العـلوم الإنسانية ترتبط بهذه الثقافة والعقيدة . ولما كانت العقيدة الإسلامية تختلف فى جوهرها عن العقائد الأخرى من حيث ارتكازها على التوحيد الخالص ومفاهيم العدل والشورى والرحمـة والإخاء الإنسانى فـإن لها مفـاهيمها الـتى تختلـف اختلافا واضـحا عن الاشتراكيـة والديمقراطية الـغربيين ، كذلك فإن الـعلوم الإنسانيـة مرتبطة بالـعقائد وثقـافات الأمم كالأخـلاق والنفـس والاجتمـاع والتربـية ، ومن ثـم فإن العـلوم الإنسانية الغربيـة لا تنفعنا ولا تصلح لنا ، هذا من ناحـية ، ومن ناحية أخرى فإن التنصـير يأتى عن طريق المعـاهد الأجنبية أو الأهليـة وفى مقدمتها فى بـلادنا اليوم مدارس اللـغات التى تـستوعب عـدداً ضخما مـن أبنائنـا الذين يدرسـون فى إطار مدارس ليست عربية أو إسلامية أصلا ، ولأنها تعـتمد اللغة الأجنبية أساسا لجميع العلوم ، وقضية اللغة الأجنبية قضية خطيرة لها علاقة كبرى مع الفكر الذي تحمله والبطـولات التى تقدمـها والتاريخ الـذى تطرحه ، وكـل هذا من شأنه أن يـنشئ أجيـالا مغربـة مفرغـة تماما من المـفهوم الإسـلامى والولاء الإسـلامى والانتـماء الإسلامى للوطن والعقيدة .

وهنـاك خطورة الابتـعاث إلى بلاد الـغرب من شبـابنا الذى لا يمـلك خلفـية إسلامية صـلبة تحميه من الانـصهار فى مجتـمعات تغرى بالأهواء والمـتع ، وهناك تكون المغريات قوية للاحتواء والتبعـية والوعود بالمناصب والدرجات ، ولذلك فإن الانبعاث يجب أن يقوم على أسس من إعـداد الشباب المسلم إعداداً واسعا بالإيمان من ناحية،ومن ناحية أخرى بالتعرف إلى المخاطر والمؤامرات التى يراد بها احتوائه، ونقل ولائه الإسلامى إلى ولاء للحضارة الغربية ولبعض مذاهب الغرب .

كذلك فإن احتواء مفاهيم التغريب والغزو الثقافى لمجالات الاقتصاد والاجتماع والتربية واللغة والتاريخ هو نوع من أنواع التنصير .

كذلـك فإن قبول مـفهوم انشـطارى ناقص ، بـالنسـبة للمـجتمع الإسـلامى والحضارة الإسلاميـة على النحو الذى جرت مـحاولات النفوذ الأجنبى عـليه منذ

قرن ونصف لبثه وتثبيته فى نفوس الشباب المسلم هو من أعمال التنصير التى يجب التحرر منها .

إن قبول الإقليمية والقومية الضيقة بديلا عن الوحدة الإسلامية هو من مخططات التنصير الكبرى وكذلك قبول العاميات التى تحاول أن تفصل بين البيان القرآنى العربى الفصيح وبين الأداء الكتابى الصحفى المستعمل اليوم هو نجاح لمخطط التنصير .

* * *

وبالرغم من اختلاف النصرانية ونحلها من كاثوليكية وبروتستانية وأرثوذكسية أو إصلاحية وإنجيلية ، فإن هدفها واحد هو التنصير . وأخطر قطاع معرض لهذه المؤامرة هو قطاع الشباب من الرجال والنساء من طلبة المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الثقافية ، عن طريق ما يسمى بيوت الشباب والرحلات وتبادل الزيارات ، ويقوم ذلك فى الغرب على وعى بشعار مجلس الكنائس العالمى (إذا لم تستطع أن تنصره فاعمل على ألا يكون مسلما) .

وقد اصطنعت عشرات الجمعيات التبشيرية كل الوسائل لإغراء المسلمين بترك دينهم تحت دافع الفقر أو المرض أو الحاجة ، وأبرز الوسائل التعليم والثقافة .

ولا ريب أن أخطر الأساليب التبشيرية هى السيطرة على مناهج التعليم ، وطرح فلسفات الغرب ومحاولة غرسها فى أبناء إفريقيا و آسيا عن طريق المدارس والجامعات ، ومحاربة اللغة الأصلية لشعوب تلك البلدان ومحاربة تراثها وثقافتها عموما ، (وكذلك تقوم عمليات الانبعاث بدور خطير) ، هذا فضلا عن تجنيد عدد كبير من أبناء البلاد للعمل على تنفيذ المخططات الاستعمارية ، وهم الذين يعارضون فكرة الدولة الإسلامية ويعارضون تطبيق النظام الإسلامى ، وهم الذين أوحت لهم هذه المدارس بأن الإسلام دين لاهوتى ، وأن الأديان لا علاقة لها بالمجتمعات أو الدولة وأنه شيء مختلف ، فهو مناجاة روحية بين الرب والعباد .

وهناك كتابات خطيرة لخداع المسلمين وأهمها كتاب (أشرك مسلما فى عقيدتك) ، نشرته مطبعة مودى فى شيكاغو بالولايات المتحدة ١٩٧٥ م ، ومؤلف الكتاب (تشارلز ز . مارس) منصر عريق أمضى خمسة وأربعين عاما فى مجتمعات إسلامية يستخدم كافة الوسائل فى سبيل تحقيق أهدافه التبشيرية . وقد ركز فى عمله فى الجزائر على البربر بوصفها من الفئات العرقية لإثارة القلاقل

داخل الوطن الواحد ، ومضمون الكتاب كيفية الدخول فى جدل مع المسلمين عند إجراء مقارنات بين القرآن والإنجيل ، وبين المسيحية والإسلام ، خاصة فى النقط المتشابهة بينهما ، وذلك عن طريق دراسة مبادئ الإسلام واللغة العربية ومعرفة الواقع الاجتماعى والظروف ، ويقدم الكتاب النصح للمنصرين بضرورة تعلم اللغة العربية بدرجة تمكنهم من التعرف على الكلمات والمصطلحات التى تتردد بين المسلمين ، ومنها (الجنة ـ الصلاة ـ الإيمان ـ الشرك ـ الزنا) ، ومحاولة إظهار المفارقات فى المعنى بين الديانتين ، وتشكيك المسلم فى المعنى الإسلامى ، والهدف هو ملء قلبه بالشبهات .

هذا نموذج من عديد من المؤلفات .

ولقد ضبطت عشرات من المؤلفات التى تهاجم الإسلام ، منها : ميزان الحق، وتنوير الأفهام فى مصادر الإسلام ، والباكورة الشهية فى الروايات الدينية ،ودعوة الحق ، وأصول الإيمان ، والصليب فى الإنجيل والقرآن ، ودين المسيح لم ينسخ، وشخصية المسيح فى الإنجيل والقرآن ، وقد ترجمت بعض هذه الكتب إلى اللغات الأجنبية ، وقد رد الشيخ رحمة الله الهندى على كتاب ميزان الحق ، وإظهار الحق، والرد على الأباطيل النصرانية هو مسؤولية كل مسلم غيور على دينه حريص على عقيدة الإسلام .

* * *

وهناك المؤتمرات المتعددة المتوالية التى تدرس وسائل تنصير المسلمين ونموذج لها نقدم ملخص عما جاء فى مؤتمر (كلورادو) بأمريكا الشمالية لتنصير المسلمين ، الذى عقد فى ١٥/١/١٩٧٨ م ، حيث قدم للمؤتمر أكثر من أربعين بحثا ، تناولت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامى دون استثناء ، بما فى ذلك الأقليات الإسلامية فى أوربا وأمريكا وحضر المؤتمر ١٥٠ مشتركا يمثلون أنشط العناصر التبشيرية فى الجامعات والكنائس والمؤسسات البروتستانية الأمريكية الأخرى ، وكان مؤتمرا مغلق لم يسمح لغير المشتركين فيه بحضور أى جلسة من جلساته ، وقد قام كل المشتركين بقراءة البحوث جميعا وكتابة تعليقاتهم عليها مسبقا. ومما جاء فى هذه الأبحاث تناقص نسبة رواد الكنائس إلى ٣٧٪ عام ١٩٧٨م فى أمريكا و ٥٠ ٪ فى كندا ، ولمواجهة هذا الواقع عمدت الكنائس إلى زيادة اعتماداتها ، وتوسعت فى إنشاء مجالس جديدة حتى وصلت قيمة زيادة بناء

الكنائس فى عام ١٩٧٩م إلى ١٥٣٢ مليـون دولار بالمقارنة إلى ٨٦٧ مليون دولار عام ١٩٧٨م ، أى بنسبة ٨٠ ٪ تقريبا .

كما عمدت الجمعيات اليهودية الخيريـة إلى زيادة مخصصاتها لإنشاء المجمعات ومراكز الشباب .

وكان من أهم ما ركز عليه هذا المؤتمر سبل محاولة الاتصال بالمرأة المسلمة التى يمكن عن طريقها الاتصال بالأسرة المسلمة ، كما عقد فى الكويت مؤتمرا ضم ١٥٠ من العلماء ، قرئت فيه تقارير تؤكد أن البعثـات التبشيرية المختلفة فى البلاد العربية أنفقت حـوالى مليار دولار لإغراء الفقـراء فى الدول الإفريقية لتـرك دينهم ، وأن حوالى ثلاثة ملايين أندونيسى قد تحولوا عن الإسلام و٢٥٠ ألفا من دول إفريقيا.

* * *

أهداف خطة التنصير العالمية :

يقول دكتور مهدى رزقاوى أحمد : إن أبرز أهداف خطة التنصير العالمية هو:

١ ـ نشر المسيحية من منطلق عقدى .

٢ ـ نشر المسيحية لتكون عاملا أساسيا فى توطين الحكم الاستعمارى .

٣ ـ توهين القيم الإسلامية ، وبالتالى تفـتيت وحدة الشعوب العربية والإسلامية ، وإبعاد المسلمين عن دينهم حتى يسهل القضاء عليهم .

فالأهداف السـياسية هى المحرك الأساسى لحـركة التنصير ، والـهدف إضعاف المسلمين ليكونوا أداة طيعة فى أيدى الشرق والغرب والصهيونية العالمية .

ولليهود بصمات بارزة فى هذا المجال ، إذ أن العامل الأول فى تطوير سلاحى الاستشراق والتنصـير فى القرنين ١٩/ ٢٠ عائد إلى اليهود الذين تـظاهروا باعتناق النصرانيـة لهدمها من الداخل ومـن ثم الزحف على قوى روحيـة دينية أخرى أى الدين عموما وهم الذين وجهوا الحكومات الغربية ضد الدين .

وقد عمـل « زويمر » فى ميـدان التنصيـر لمدة ستين سـنة ، ولم يكـشف عن يهوديته إلا عند احتضاره عام ١٩٥٢ م عندما طلـب حاخاما يهوديا يلقنه الشهادة ، واحتفظت الـكنيسة بهذا السر لأسـباب تعلمها ـ والمعروف أن زويمـر اقتحم الأزهر

الشريف فى الثلاثينات ووزع منشوراً ينم عن يهوديته ، إذ كان عنوانه : (لماذا لا تعود إلى القبلة القديمة) .

وهدف اليهود هو استغلال المسيحية الغربية لحرب الإسلام بسلاح التنصير ، وإضعاف الدين عند المسلمين كما أضعفوه عند الغربيين ، وإذا كان زويمر قد قال : إن المنصرين يسعون إلى إخراج المسلم من دينه إذا فشلوا فى إدخاله النصرانية ، فإن وليام جيفورد قال : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عبر بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » .

وهكذا تركز عملية التنصير أساسا على مناهج المدارس لتحصرها فى الطريقة العلمانية التى هى مفتاح عملية التنصير ؛ لأنها تزعزع الاعتقاد بالإسلام والقرآن وإن دراسة الكتب الغربية واللغات الأجنبية هى مفتاح الطريق إلى زعزعة الاعتقاد بالإسلام وإن المدارس العلمانية نشأت بعد أن تبين نفور المسلمين من المدارس المسيحية ومدارس الإرساليات .

ويقول « كيبت كراج » - رئيس مؤتمر التنصير بكليات جامعة أكسفورد - تحت عنوان موضوعات مشتركة بين المسلمين والمسيحيين : « إن نجاح الحضارة العلمانية الغربية فى غزو المسلمين تمثل عاملا حاسما فى التقريب بينهم وبين المسلمين ، وإن دور العلمانية فى مساندة التنصير من الموضوعات المهمة . ويركز « بول هاريسبون » فى كتابه (الطبيب فى بلاد العرب) على مهمة جعل رجالها ونسائها نصارى ، فالطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات البشر حتى أولئك الذين لا يخالطون غيرهم ، وقد أولى المنصرون اهتماما كبيرا بالتطبيب على أنه وسيلة إلى التنصير ووضعوا طرقا لذلك .

* * *

وهكذا نجد أن الهدف اليوم يتطور من التنصير التقليدى الفردى إلى التنصير الجماعى الذى يغتال الثقافة أساسا على حد قول (دونالد لايون) : « توصيل الإنجيل للمسلمين عبر الثقافة » .

فهذا هو المخطط الجديد التنصير عن طريق الاتصال عبر الثقافات وهذا هو ما يجرى الآن عن طريق العلوم الاجتماعية وغيرها ، وهى القائمة أساسا على الفكر

اليهودى والفكر المسيحى ، وغالبا علـى الفكر اليونانى الوثنى ، والمعروف أن علم النفس أصوله من التلمود كما ثبت أخيرا .

* * *

وهكذا نرى أن مؤامـرة التنصير العالمية هـى حرب صليبية غير معـلنة ، حيث ترى حركات التنصير فى الصحف الإسلامية خطراً يداهما وزلزالا يهد الأرض تحت قدميـها ، فهى تـعمل علـى تقويضه والـنيل منـه ، وهى فى سبـيل ذلك تسـتغل الحالات الناتجة عـن عدم الاستقرار ، ومن أجل ذلك تبـتكر طرقا مستحـدثة لطبع الملايين من الكتب ، وطـبع الإنجيل بعد ترجمته إلى ١٣٠ لغـة تحت عنوان صيحة ضخمة (أنجلة العالم الإسلامى) أى إغراقه فى سيل من الأناجيل بشتى اللغات ، حيث طبعت مؤسسة فورد حوالى عشرة ملايين نسخة .

وقد تبين أن بعـض أثرياء العرب يدعمون مجـالات التنصير المسيحـى بأموالهم من خـلال الإعلانات الـتى يغـرقون بها الإذاعـات المشبـوهة أمثـال مونت كـارلو وغيرها، والتى هى فـى حقيقتها مركزا للتنـصير المسيحى بكل ما تعنـيه الكلمة من معـنى ، ومن أجهـزتها يـنطلـق صوت الإرساليـات المسيـحية غـازيا آفاق العـالم الإسلامى بأسالـيب تغرى الشباب وتجذبـه للاستماع . وقد تبين أيـضا أن ما توفره الإرساليات التبشيرية يتم بواسطة أموال المسلمين المودعة فى بنوك الغرب .

هذا فضـلا عما توفره مؤسـسات فورد وروكفلر وغـيرها من خدمات صـحية واجتماعية واقتصادية موجهة كلها للتنصير .

وتجرى المحاولة الخطيرة تحت عناوين مثيرة :

١ ـ تزييف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

٢ ـ طبع كتب مليئة بالأفكار المحرفة والمضللـة التى ألفت لتشويه العقيدة الإسلامية وتعاليمها .

٣ ـ تفسير الآيات الـقرآنية والأحاديث النبوية تفـسيرا خاطئا يتفق وخطـط التنصير وغاياته وذلك بتحريفها وإخراجها عن معانيها الصحيحة .

٤ ـ طبع أشرطة كاسيت تحوى هذه السموم .

٥ ـ إنشاء إذاعة خاصة تروج أفكارها ومزاعمها (مونت كارلو ، وصوت الغفران، ومركز النهضة) .

٦ ـ التسلل إلى المجتمعات خفية ، حيث وجدت خلايا سرية لبث السموم والأفكار النصرانية فى بعض العواصم العربية ، وقد تبين أنها فروع لمنظمة دولية مركزها بازل بسويسرا ، وأن للمنظمة فروعا فى ألمانيا والنمسا ولبنان .

وقد عثر على (٢٠٠ ألف) كتاب من الكتب المعادية للإسلام والداعية إلى الردة ، وضبطت أشرطة سجلت عليها أحاديث مناوئة للإسلام ، كما وجدت تلاوات شبيهة بتلاوة القرآن فى المضمون معادية له ناسخة لتعاليمه ، وقد حملت هذه الكتب والأشرطة هجوما على النبى ﷺ ، وقد تبين أن هذه المنظمة توزع أموالا طائلة فى البنوك وبالعملات الصعبة .

٧ ـ عمل مسابقات عن طريق المراسلة ترصد لها الجوائز المادية والفنية .

٨ ـ طبع كروت للتهانى فى المناسبات المختلفة ، ولوحات مكتوب عليها عبارات منقولة من الأناجيل ونتائج حائط وحافظات نقود وتجرى القيام بمراسلة المسلمين عن طريق صناديق البريد وبواسطة عناوين المسلمين المثبتة فى دليل الهاتف وأدلة الشركات التجارية ، وقد أمكن بواسطتها توزيع الملايين من الكتب والمنشورات .

٩ ـ إعداد وسائل ومحاولات لزعزعة إيمان المسلمين وتشكيكهم فى عقيدتهم بما لديها من إمكانيات .

* * *

وتعد ظاهرة النوادى المشتركة والعالمية عن طريق ما يسمى التبادل الثقافى من أخطر الوسائل والأساليب للتنصير .وقد اتسع نطاق هذه الأندية فى بلادنا وتهدف هذه النوادى العالمية المشتركة جذب مجموعات من الشباب والمتعلمين بصفة خاصة إلى صفوفهم ، واستخدام الفتيات المسيحيات لإغواء الشباب المسلم وتوزيع نشرات ودعوات مريبة مزينة بالصور والرسومات الخليعة تدعو إلى الجنس الجماعى ، وتروجها جماعات معروفة منها جماعة الأب ديفيد (فى لندن) والذى يسمى نفسه رسول الحب الجديد .

ومتصل هذا الخطر بالمدارس ورياض الأطفال والجامعات والمعاهد ومراكز البحوث واللغات والمراكز الثقافية ، وأهم ما يطرح على بساط البحث مسألة تنظيم الأسرة ، وترويج برامج تحديد النسل ، وذلك بغرس مفهوم عدم إنجاب الأطفال لأن ذلك سيزيد عدد الجائعين والعراة والمرضى والفقراء ، وكذلك يتم توزيع حبوب منع الحمل والوسائل الأخرى بالمجان على النساء المسلمات وتشجيع النساء على عدم الإنجاب بواسطة تقديم الهدايا والملابس ، ويرمى هذا إلى تحقيق هدف أساسى من أهداف التنصير وهو الحد من قوة المسلمين العددية .

* * *

وقد ركزت وسائل التنصير على المجال الإعلامى ، واتخذت وسائل الإعلام النصرانية واليهودية خطة موحدة وهى إضعاف القوى الإسلامية للحد من قدرتها على التحرك والتأثير على مجريات الأحداث فى العالم الإسلامى وتمكين اليهود والنصارى من السيطرة على وسائل الإعلام ، حتى يتمكنوا من توظيفها من أجل خدمة مصالحهم ، وتشويه وجهة الرأى العام ، علاوة على الهجوم المباشر على ديار الإسلام بإدخال فلسفات وأفكار هدامة ودعوات إلى الإباحية والانحلال خلقيا وعقائديا .

وبالجملة فإن هناك تعاونا وثيقا بين الحركات الصليبية والصهيونية فى مجال الإعلام والسياسة ، حيث تمكنت الصهيونية بأساليب الدهاء والمكر من التغلغل داخل الكنيسة الإنجيلكانية التى أعلن رؤساؤها تأييدهم المطلق للكيان الصهيونى ، فاستخدمت أكثر من ثلاثة آلاف قس بروتستانتى لمهاجمة الإسلام والمسلمين فى مؤلفات ومقالات توزع فى كل أنحاء العالم .

كما تجرى الحركات التنصيرية تحت ستار المشاركة فى حركة التنمية والتطور الاقتصادى بقوى عالمية عبر البحار وصناعات خفيفة وثقيلة لإنتاج الآليات والأغذية والأدوية .

* * *

ومن أخطر أهداف المنظمات التبشيرية محاولة استصدار إعلان دولى عن الحرية الدينية تحت شعار جماعة النصارى وغيرهم من أتباع الديانات السماوية

القابعين تحت الاحتلال الشيوعى ، وقد قام الاتحاد الأوربى الديمقراطى المسيحى ـ ومقره روما وخاضع لتوجيهات الفاتيكان ـ للعمل على إقرار مشروع ميثاق الحرية الدينية الذى أعدته أصلا الجهة المختصة بالفاتيكان وأقره المجمع المسكونى الثانى ، وتكمن الخطورة فى إقرار هذا المشروع فى إقرار حرية تبديل الأديان أو حرية الارتداد عن الإسلام وحرية زواج المرأة المسلمة من رجل غير مسلم .

وستكون هذه الوثيقة لدى إعدادها ـ لا سمح الله ـ سلاحا بأيدى القائمين على حركات التنصير لتحقيق أهدافها الصليبية فى أواسط المسلمين ، وفى غفلة من انتباه ممثلى الدول الإسلامية حظى المشروع بالموافقة والإقرار من لجنة حقوق الإنسان ثم المجلس الاجتماعى والاقتصادى لهيئة الأمم المتحدة ، وهو معروض على الجمعية العامة لهذه المنظمة الدولية .

* * *

وتأتى بعد ذلك أخطر أعمال حركات التنصير قاطبة وهى : (تحضير القادة فى الشرق الأوسط) . وفى كتاب اسمه (حتى تكون لهم حياة) لمؤلفه « ستيفن نبروروز » حيث تحدث عن خلاصة تجاربه ونشاطاته التنصيرية يقول :

« بين الطلبة فئة صغيرة من المتحمسين الجادين قادة المستقبل فى الشرق الأدنى، هؤلاء هم الذين يدربهم مبشرونا ليصبحوا أساتذة وأطباء وبحاثا وصيادلة الذين يحاولون بوعى أكبر من باقى زملائهم فى المناخ النفسى للكلية ، وهم يحضرون بطريقة محددة ليصبحوا مراكز الأضواء والقيادة فى هذه المنطقة .

ويشير بلس ـ من كبار قادة التنصير ـ على المنصرين بتغيير لغة التنصير حسب الزمان والمكان والثقافة والديانة ، ويقول : إن التنصير لم يدع مجالا إلا واشترك فيه : جمعيات الإسعاف ، المؤسسات الخيرية ، المساعدات الغذائية ، رعاية اللاجئين ، الأجهزة الدولية ، البعثات ، المدرسة ، الجامعة ، المستشفى ، النادى، أجهزة الإعلام .

ويقول الأستاذ نبيل صبحى : لقد نجح التنصير فى طبخ قادة كثيرين تسللوا إلى مراكز السلطة فى العالم المسلم كله تقريبا وقد وصل خريجو الجامعة الأمريكية ممن غسلت أدمغتهم إلى المناصب القيادية فى أكثر الدول العربية .

ولم يكتف المنصرون بتعليم غير المسلمين دروس التميز عن المجتمع الشرقى بدعوى انتسابهم إلى الحضارة الغربية وانفصالهم عن خلفياتهم العربية الأصيلة وتعاليهم عن مواطنيهم من المسلمين وإثارة الحقد والكراهية بين أبناء البلد الواحد، وأيدهم فى ذلك كل أعداء الإسلام : من صهيونيين وماركسيين ورأسماليين استعماريين .

إن جذور مأساة لبنان هى فى التخريب التربوى الذى قام به المنصرون الغربيون بجميع طوائفهم من فرنسيين وأمريكان وإيطاليين وإنجليز ، وإن ما حدث الآن فى فلسطين وفى لبنان هو من ثمار مدارس الإرساليات وفى مقدمتها الجامعة الأمريكية. والواقع أن المسألة الشرقية لم تقم أصلا فى أذهان أقطاب الاستعمار خلال ضعف وانحلال الدولة العثمانية إلا على أساس التدخل المباشر فى بنية المجتمع فى بلاد المسلمين لتفتيتها إلى محاور عرقية ودينية وطائفية .

ولقد كان يعنى أنه ليس ضروريا أن يغير الطالب دينه ، طالما تبنى وجهة نظرهم فى كل شىء من التربية إلى السياسة ، ولكن ليحتفظوا بأسمائهم الإسلامية وينتصروا فى كل شىء ومنهم من جاء إلى منصب الوزارة ممثلا طائفة إسلامية وهو فى الحقيقة إنجيلى ، وهذا تكرار على المستوى الفردى لحركة الدونمة التى قامت فى قلب الدولة العثمانية ولا تزال تنخر فى قلب المجتمع التركى المسلم.

* * *

ويصور المنصر الكاثوليكى « جيرديز » فهمه لدور التنصير فى مقولته التى يقول فيها : « إن الإسلام يقف على أبوابنا على ساحل الشمال الإفريقى يواجه أوربا بل يلامسها حقيقة على طرفى المتوسط عند أعمدة هرقل وفى القسطنطينية ، وهذه الكتلة الصلبة من المحمديين الممتدة من إفريقيا الشمالية إلى غرب وأواسط آسيا إنهم كخابور ثابت لا يتخلخل ، يفصل الغرب المسيحى عن الوثنية أو الشرق المتخلف ، لو أمكننا أن نحل مشاكلنا فى اليابان أو كوريا أو الصين أو منشوريا والهند ،فإن هذا الخابور الضخم المعادى والغريب وغير المتعاطف يمزق الشرق والغرب المسيحيين إلى نصفين ، فاصلا الشقين تماما وعاذلا إياهما عن بعض».

ومهما يكن فى هـذا القول من المبالغة ، فإنه يصور مدى الأحقـاد المنبعثة من وراء المخططات .

يقول عبد الفتاح الفاوى : « الواقع أن ما تفعـله منظمات التنصير ليس له إلا معنـى واحد هو أنه خوف من يـقظة العمـلاق ، فهم يعرفون مـدى قدرة الإسلام على اجتذاب النـاس إليه بدون دعاة أو مبشرين ، ومن ثم فـهم يقاومون الإسلام ويحاربونه بهذه المخططات ، ولذلك فإنهم لا يعـنيهم الدخول فى المسيحية بقدر ما يعنيهم صد الناس عن الإسلام ، وإذا أردنا أن نـصوغ لهم مبدأ فمبدأهم هو :(لا تدخل الإسلام ، ولكن على أى دين شئت) .

إن الغـرب يستخـدم فى التنـصير والدعـوة إلى المسيـحية كل إمـكاناته المـادية والتكنولوجية ، ويـرصد لهذا العمل الميزانيات الضخمة ولـكن الإسلام لا يستطيع أن يقاوم ذلك إلا بمبادئه الخالدة .

يقول ونستـون تشرشل فى كتابه (حـرب النهر) : « لقد عرفنـا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم القرآن ، ولذلك عملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاديانى ودعوته إلى إلغاء الجهاد » .

الفصل الثالث

أكذوبة الحوار

بدأت فكرة الحوار فى هذه المرحلة (١٩٦٢ وما بعدها) من جانب الكنيسة الكاثوليكية وكانت قد جرت محاورات فى فترات قديمة اشترك فيها علماء مسلمون أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهم .

وكانت الفكرة الأساسية من الحوار أن يتآزر أصحاب الأديان السماوية فى مواجهة الإلحاد والدعوات الهدامة .

ولكن هذه المرحلة الجديدة من الحوار التى جاءت من مثل هيئة مسيحية رسمية تحمل طابعا آخر مختلفا ، فهى تأتى فى أثر عدة عوامل أساسية فى مقدمتها :

١ ـ اعتراف الكنيسة المسيحية بما كان موضع خلاف شديد بين المسيحية واليهودية فى الماضى ، وما يتصل بحذف كثير من التراتيل والأدعية التى كانت تتلى فى الكنائس ،والتى تقرر أن لليهود دوراً فى محاولة صلب السيد المسيح (هذه المحاولة التى يقرر المفهوم الإسلامى أنها لم تقع بالنسبة للسيد المسيح أساسا) .

٢ ـ بعد أن تبين أن محاولات التنصير المسيحى مع المسلمين لم تحقق نتائج ذات بال ، وانكشفت من ورائها حقائق ربطت بين نشر المسيحية وبين النفوذ الاستعمارى ، خاصة فى شرق إفريقيا وغربها .

٣ ـ بروز قوى إسلامية جديدة فى قلب أوربا والقارة الأمريكية ، يتزايد أعدادها ، سواء من الوافدين على البلاد الغربية من بلاد المسلمين أم من المسلمين الجدد الذين اقتنعوا بالإسلام وآمنوا به .

٤ ـ دخول عدد من كبار المثقفين الأوربيين فى الإسلام وكتاباتهم فى الكشف عن شبهات مثارة حول حقيقة نسبة الكتب المقدسة إلى الرسل (موسى وعيسى) عليهما السلام ، وما يتصل بمعارضة بعض نصوصها للحقائق التى كشف عنها العلم الحديث وخاصة ما جاء فى كتابات « موريس بوكاى » ، وماكتبه علماء اللاهوت السبعة تحت عنوان (أسطورة الإله المجسد) .

* * *

وهكذا يسرى الكثير من الباحثين ـ ومنهم الدكتور بشير التوم ـ أن اتجاه

المسيحيين إلـى تفجير عملية (الحوار) إنمـا جاءت بعد أن فشلوا فى نشر المـسيحية وسط المسـلمين وخوفـا من غزو المسـلمين للمـسيحيـين فى عقر دارهـم فى أوربا وأمريكا ورأوا أن فى فتح باب الحوار من شأنه أن يجمد نشاط المسلمين فى الدعوة إلى الإسـلام فى أوربا وأمريـكا ، فالحوار يـجمد نشـاط الدعوة الإسلامـية؛ لأن المسيحـيين عن طريقه يعـملون على امتصـاص ذلك الحماس المستمـر ، ويشعرون الأوربيين بأنه لا يوجد فارق كبير بين المسيحية والإسلام .

بل يرى البعض أن خطر الحوار الإسلامى المسيحـى من الخطط التنصيرية لنشر العقيدة المـسيحية ، وتيسير سبـلها (البروتستانتيـة والكاثوليكية) لتوحـيد ظهورها لتنفيذ خطتها المشتركة تحت ستار الحوار مع غير المسلمين .

بل إن هناك ما هو أخطر من هذا ، فإن حركات التنصير هى التى اختارت من يمثلـون الإسلام فى النـدوات المشتركـة ، وهيأت فى سـبيل إعداد ذلـك عددا من الخبراء والمتخصصـين فى مجال الحوار مع المسيحيين ، وتزويدهـم بمختلف أصناف الحيل والخداع لزعزعة عقيدة المشتركين من المسلمين .

وقد تزامـنت هذه المؤتمرات التـى توالت الانعقـاد فى روما وطرابلس وقـرطبة والقاهرة مع رحلات بابا الفاتيكان المشهورة ، بهدف توحيد صفوف النصارى بكافة مذاهـبهم ، وتنـسيق العـمل التـنصيرى فـى العالـم ، ورفع المعنـويات للأقلـيات النصرانية بـعد أن توالت زياراته للقارة الإفريـقية التى تؤكد إصرار الفاتـيكان على احتضان هذه القارة .

وترجع فى الجملة هذه التحركات من جانب الكـنيسة الكاثوليكية وغيرها بهذا القدر الواسع من الحماسة ، إلى مواجهة الصحوة الإسلامية .

ويقرر الدكتور عمر فروخ أن « محاولة الحوار تقوم على جمع نفر من المثقفين ذوى الكلمة المسموعة فى قومهم على مناقشات لا تمت بظاهرها إلى التبشير ، وإن كانت غايتهـا الحقيقية زعزعة العقـائد بجرّ الناس إلى القول والرد ، ثـم النفور من خلال الأخطاء والجمل المتشابهة إلى التأثير على ذوى النفوس الضعيفة » .

وقد أدرك المخلصون أن الحوار هـو وسيلة جديدة من وسائل التنـصير الدينى والسياسى معا .

وقرر المجمع المسكونى الثانى ١٩٦٦م إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار ، رجال دين يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين ويلتقطون النقاط التى ينفذون منها إلى ما يريدون .

وفى نفس الوقت الذى تواجه المسيحية نقداً من عدة جوانب ، سواء فى الاعتقاد أم فيما يشمله سفر التكوين من خلافات مع حقائق العلم ، توجد لقاءات تضم علماء بارزين من المسلمين يشيدون بالمسيحية ويعترفون بأنها رسالة السماء ، ومن شأن هذا أن يحمل لأهل الغرب عودة الثقة فى المسيحية ، خاصة عندما يتبرع بعض المسلمين بالقول بأن الخلافات بين المسيحية والإسلام هى خلافات أكاديمية ، متجاهلين (الصلب والتثليث والخطيئة) وهى خلافات جذرية عميقة .

لقد حاولوا الالتجاء إلى الإسلام كوسيلة أخيرة لإثبات قيمة المسيحية كدين صحيح الأصل له وزنه بين الأديان الكتابية ، وقد عبر عن هذه الظاهرة بعض الباحثين بأن الحوار لم يكن إلا محاولة تستهدف القول بأنه لا خلاف بين المسيحية والإسلام ، أو هناك وجوه واسعة للقاء ، فلماذا إذن دعوة الأمم إلى الدخول فى الإسلام مادام ما يعرض عليهم مثيل لما عندهم .

هذا فضلا عما يقدمه المحاورون من علماء المسيحية وما يفرضونه على ساحة الحوار ، ومن ذلك أن الأعضاء النصارى فى بعض هذه الحوارات اعتبروا (محمداً ﷺ) نبيا من الدرجة الثانية وليس نبيا رسولا مثل إبراهيم وموسى - عليهما السلام - وطبعا ليس كعيسى لأن عيسى ليس بشرا وإنما هو إله ، كما أنهم يرفضون الاعتراف بنبوة الرسول كما رفضوا بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، كما يرفضون الاعتراف بأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

ولقد أشارت بعض تقارير هذه الاجتماعات أن دعواهم فيما يسمى بإحلال التفاهم بين الديانات يقوم على شروط النصارى ، واشتراطهم على المسلمين التنازل عن أشياء كثيرة ، كذلك فقد تبين أن كثيرا من هذه المؤتمرات يحضرها الماركسيون والملاحدة والمتاجرون بالدين من المنتسبين إلى الإسلام ، حتى يكون الهجوم عليه من جانبهم ، وليس من جانبى رجال الدين المسيحى والكهنة ، وإنه قد جرى تكوين جمعيات تحمل أسماء علمية ، وتتظاهر بأنها تمارس نشاطا علميا أو اجتماعيا أو إنسانيا (مثل المنظمة الدولية للتقدم) التى عقدت ندوة فى روما فى نوفمبر

١٩٨١م تحت اسم الندوة : الإسلام والمسيحية .

وتصدر هذه المؤتمرات توصيات تهدف إلى عزل الإسلام عن حركة الحياة ، بدعوى عدم الملائمة أو الجمود أو التطوير أو التجديد ،ومن هؤلاء (تجار الكلمة) الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا بفكرة ، والذين يعتقدون أن الطعن فى الإسلام هو جواز المرور إلى الشهرة والسلطة والمال .

* * *

ومما يؤكد أن الكنيسة تسعى للحصول على اعترافات بالمسيحية من علماء الإسلام المشهورين ، أن مقولات الكرادلة والأساقفة الذين اشتركوا فى الحوارات، سواء فى مؤتمر قرطبة ١٩٧٧م أو غيره ، توحى بأنها إنما تقدم أشياء طفيفة جدا مصاغة فى أسلوب احتمالى قوامه التعميم ، على نحو لا يؤدى إلى الاعتراف بحقائق الإسلام الكبرى مع منتهى التحفظ ، كمثل قول أحدهم : « إن محمداً كما يعتبره المسلمون - أى من وجهة نظر المسلمين - هو المثل والمثال لكل الفضائل الإسلامية - وهم لا يكادون يقبلون فضيلة غير موجودة به - ويجب على المسيحى أن يعترف بقيمة محمد هذه بالنسبة للمسلمين » .

وهذه العبارات كلها تحمل تصور المسلمين عن نبيهم ، ولكنها لا تعترف فى صراحة بأنها تؤمن بهذه الحقائق ، بل يتخذ أسلوب التحفظ الشديد ، بينما يختلف الموقف بالنسبة لكتابات المسلمين عن عيسى - عليه السلام - والسيدة مريم والدين المسيحى المنزل ، حيث توجد العبارات الحاسمة المنبعثة من صدق الإيمان ، هذه العبارات الإسلامية هى التى يستغلها الأقزام من رجال التنصير ليثبتوا للمسيحيين فى الغرب أن دينهم معترف به من رجال الإسلام .

بل لقد انطلقت دعوات من الغرب تدعو المسلمين إلى دراسة الدين المسيحى دراسة توصلهم إلى أنه دين لا شرك فيه ، وأن مفهوم (الأب والابن والروح القدس) فى اللاهوت المسيحى لا ينافى قط مفهوم الإله الواحد الأحد ، وهذا ما يسمونه نقاط الالتقاء بين الأديان ، وهو مفهوم مغلوط ، لأن المسلمين يعلمون تماما أن المسيحية تثليث وليست توحيدا ، وأن نقاط الخلاف إنما تكون فى الغايات التى يمكن أن يتفق عليها أهل الأديان فى مقاومة الإلحاد والفلسفة المادية ومفاهيم الإباحية والانحلال .

* * *

ويرى الكثيرون أن دعوة الحوار الإسلامى المسيحى قد انطلقت من الفاتيكان، والفاتيكان حليف الصهيونية وعميل المخابرات الأمريكية ، وكانت وجهتهم الابتعاد عن نقاط الاختلاف فى العقائد ، كما ظهر أن الغاية واضحة فى استعادة الاستعمار الرأسمالى بعد أن تفشت الشيوعية وغزت العواصم الغربية .

وسرعان مـا ظهر أن هناك ما يـسمى بالحوار الإسـلامى المسيحى الـيهودى ، وتلك محاولة خطيرة لدفع المسلمين إلى تقبل الكيان الصهيونى .

ويرون أن الغرب يمر الآن بفترة قاسية،من رفض شباب الغرب عقيدة التثليث، وأسطورة العشاء الربانى . وفى ظل هـذا الإفلاس نادوا بتوحيد الأديان ، وتقارب الأديان ، لحماية الرأسمالية الغربية .

* * *

وهناك عدة نقاط هامة وردت فى كتابات الذين عرضوا لقصة الحوار ، نوردها فيما يلى :

أولا : من الذين يمثلون المسلمين فى الحوار ؟ وهل هم يمتلكون رصـيدا ثقافيا عربيا إسلاميا يجعلهم يفكرون تفكيرا عربيا إسلاميا أم هم من المثقفين الذين تعلموا وتكـونوا ذهنيـا فى الغرب وكـثيرون منـهم يفكـرون برموزه ولغـته ويؤمنـون بأن الإسلام دين لاهوتى لا يختلف عن المسيحية ؟ والواجب ألا يمثل المسلمون فى هذه الندوات إلا النخبة الذين عرفوا بقوة إيمانهم بالإسلام وتعمقهم وعدم تنازلهم .

ثانيا : إن أخطر ما تحقـقه هذه الحوارات هو اعتراف الديـن الإسلامى بالأديان الأخرى بصورتها القائمة الآن ، والتى تختلف تماما مع صورتها المنزلة .

ثالثا : إن الإسلام ينتشر بسرعة فائقة فى أوربا وأمريكا واستراليا ،وهذا الحوار يوقفـه ويشكك فـيه ، ويقدم لخصـوم الإسلام وثائق تـنقص من فـردية الإسلام وذاتيته ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

رابعاً : يرى البعض أن الـدعوة إلى الحوار بين الأديان وما يتبعـها من الدعوة الإبراهـيميـة والحوار بين الحـضارات ، هى محـاولة لإسقـاط عقيـدة التوحـيد ،

وإخراج المسلمين منها بدعوى أن دين الله واحد ، وعلى المؤمنين بالأديان أن يلتقوا مهما كانت طبيعة دينهم . ويرى البعض أن الدعوة إلى إحياء الإبراهيمية هو بديل للماسونية أو هو الماسونية فى ثوبها الجديد .

خامسا : يجب أن يدرس فى دقة مصادر تمويل هذه الندوات ، فالشائع أن الاتفاق على هذه المؤتمرات يتم من جهات ذات نفوذ استعمارى ، وقد أشيع أخيرا بأن أكثر من ثمانين مؤتمرا اتفق عليها وأشرف عليها إحدى الهيئات الاستخبارية الكبرى ، ومعنى هذا أن الحوار يوجه ويخدم أهدافا سياسية واقتصادية ، ومعنى هذا أيضا أن أولياء الغرب هم الذين يواجهون الحاخامات والقساوسة ويتحدثون بلغتهم .

سادساً : شرط قيام الحوار الحقيقى هو الكف عن حملات التنصير التى توالى عدوانها عن طريق الإذاعات والرسائل ، والسيطرة على المعاهد والمدارس والمستشفيات ومصادر الطعام فى المناطق المغاثة ، ولن يقوم تعاون حقيقى بين الإسلام والغرب إلا إذا كف الغرب عن أحكامه المسبقة والمغرضة عن الإسلام ، والتى تروجها وسائل الإعلام الواقعة تحت تأثير الصهيونية .

* * *

ويقرر كثير من الباحثين أن الغرب المسيحى غير مستعد بأن يتخلى قيد أنملة عما يعتقده وعما يؤمن به من أفكار كانت ولا تزال الوقود لروح العداوة التى يكنها للشعوب الإسلامية حتى وإن أبدى بعضهم شيئا من اللين والمراوغة سميناها نحن اعتدالا .

هذا ما يقوله الأستاذ محمد صالح عزيز أيضا ، فهو يرى أن الغرب منذ القرن١٨ ـ ويساعده علماؤه فى الاجتماع وكتابه ومؤرخوه وفنانوه ـ يريد أن يعرض على العالم أطروحته التى تقول : إن الحضارة واحدة وهى تلك التى صنعها الغرب وقدمها للعالم .

* الحضارة واحدة لا بد أن يتقبلها العالم .

* الثقافة واحدة وهى الثقافة الغربية ، ولا بد أن نقبل القوالب التى يقدمها لنا الغرب .

وذلك وفقا لما يقـول رينان : « إن الغرب فى عنصره هو صـاحب العمل وإن الشرق فى عنصره هو عامل » .

والغرب غـير مستعـد لأن يتنازل عن عـقيدته هـذه قيد شبر واحـد ، وإنما هو تعريض لأنفسنا والذوبان فى عقيدتهم وإنـكار لشخصيتنا . والحوار معهم على هذا الأساس يعتبر جنايـة بحق وجودنا نحن وبحق أصالتنا وعقيدتـنا ؛ لأن علاقتهم بنا حسب هذه المعـادلة هى علاقة المستعمر فـى ظروف الهيمنة والابتزاز والـعمل على إطفاء جذوة الحماسة فينا : هذه الحماسة التى هى شرط أساسى للحوار البناء .

وقد أدى دخول بعض المسلمين فى الحوار إلى ظهور ثلاثة أنماط :

الأول : هو النمط الذى ألقى سلاحه فى أول الطريق مبهوراً بما عند منافسه ، وتنكر لتاريخه وثقافته وتطوع للدعوة إلى التغريب فى بلاد المسلمين .

الثانى : النمط الذى لم يسـتطع أن يتنكر لثقافته وتاريـخه ، ولكن تحت ضغط الواقع والـهزيمة يرى أنه لا سبـيل إلى بعث الحـياة الحضارية لـلمسلمين إلا بـاتباع وتطبيق المناهج الغربية .

الثالث : هو النمـط الذى يتمسك بمـبادئه الأساسية ويـتحصن بما تبـقى له من حصون دفاعية عن عقيدته الإسلامية ، إلا أنه لم يسلم من تأثير الثقافة الغربية .

هذه الأنماط الثلاثـة نتيجة حتميـة للهزيمة النفسـية التى منى بها المـسلمون أمام الغرب .

ولكى يكـون الحوار إيجابيا (أولا) لا بـد من الرجوع إلى ذاتنـا الإسلامية نستـمد منها جـذوة الحماس ، وتدخل الحـضارة من بابـها الشرعى ، واثـقين من أنفسنا ، لا تـخيفنا ممتلكات الـعدو من القوة ووسائل الدمـار ، ولا نظن أن غلب الغالب سيبقى وعلينا التبعية له ، ذلك أن هزيمـتنا الحقيقية هى انصرافنا عن منهجنا الأصيل .

* * *

فى مواجهة الصحوة : الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية والتنصير البابوى

لم تكتف القوى المعادية للإسلام بمخطط التنصير الواسع الممتد إلى مختلف المناطق الإسلامية فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، فضلا عن تداخلاته الخطيرة عن طريق الاستشراق والتعليم والصحافة فى مناهج التربية والثقافة ، بل تفتقت الأذهان الحاقدة عن خطة الحوار ، وتبعتها فى نفس الوقت بمخطط رحلات البابا إلى مختلف المناطق التى يجرى احتواؤها واستغلال ظروف الأزمة الخطيرة التى تقوم فى مناطق إفريقيا المصابة بالمجاعة ، من أجل إدخال المسلمين وغيرهم فى المسيحية ، عن طريق الطعام والكساء والدواء . وبالرغم من انكشاف فساد خطة الحوار ، فقد استطاعت القوى المسيطرة ذات النفوذ الاقتصادى على العالم الإسلامى أن تجد من تواصل معه هذا العمل فى سبيل الحصول على وثائق إسلامية تعترف بالمسيحية دون أى مقابل لذلك من الناحية الأخرى .

وقد بدأ بابا الفاتيكان مرحلة جديدة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ١٩٨٧م إثر العجز الذى أصيبت به الكنائس فى العقدين الأخيرين ، وفشلها فى اكتساب أتباع جدد ، بل وحتى الاحتفاظ بالأتباع القدامى ، مما انعكس بشكل واضح على عمليات الانجذاب إلى الكنائس التى شهدتها أوربا وأمريكا وهى الموطن الذى انتهت إليه النصرانية أخيرا !!

وقد صدرت إحصائيات عن الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٨٠م ، تشير إلى الانحسار الرهيب فى عدد الذين يرغبون من الأوربيين فى (تكريس) أنفسهم تلامذه للمسيح ، مما يشير إلى أنه فى عام ٢٠٠٠ قد يشهد وجود كنائس بدون كهنة ، لذلك كان هَمُّ البابا الأكبر إلى جانب كسب أتباع جدد اجتذاب الشباب إلى السلك الكهنوتى .

ومن هنا كانت رسائله السرية إلى المراكز الكاثوليكية فى العالم يدعوها لتكثيف الجهود لمواجهة الوثنية التكنولوجية التى تحاول تدمير الحياة ، وتصرف الشباب عن الانخراط فى سلك الكهنوت ، ومن هنا كان انطلاقه يجوب القارات مُرَكِّزاً بشكل واضح على قارتى إفريقيا وآسيا - حيث توجد كثافة سكانية وثنية - هى أمل

الكنائس وعمقها الاستراتيجى لضمان بقاء النصرانية فى إفريقيا !!

ومن هنا كانت زيارته لشبه القارة الهندية التى وجدت معارضة قوية من قبل الهندوس (٦٠٠ مليون) لسبب تخوفهم من احتمالات إشراف البابا على عمليات تحول جماعية من الهندوسية إلى النصرانية ، فقد أحرقوا صورا ودمى تمثل البابا ، فاتجه إلى مزار غاندى وبالغ الإشادة بالرجل الذى يعتبر الأب الروحى للهندوس ، كما زار تاميل وكيرالا فى إطار الصراع الحقيقى بين النصرانية والإسلام ، حيث اعتنق فى (تاميل نادو) عشرات الألوف من البوذيين الإسلام ، ودخلت قرى كاملة فى دين الله ، ثم انتقل الإسلام من الجنوب إلى الشمال .

وزار ولاية كيرالا التى تعتبر معقل المسلمين فى الهند ، رغم أنهم أشد فقرا، وكانت دعوته إلى أتباع الكنيسة إلى التزاوج والتوالد لزيادة عدد الأقلية الكاثوليكية.

* * *

وتوالت رحلات البابا ، فكانت رحلاته الثلاث إلى إفريقيا خلال خمس سنوات حيث زار زائير والكونغو وكينيا وغانا وفولتا العليا ، وقد وصف هذا العمل بأنه مسعى الفاتيكان للحد من انقراض المسيحية فى إفريقيا ، وقالت الوشنطون بوست إن البابا يأمل فى تعزيز مركز الكنيسة الكاثوليكية فى مواجهة انبعاث متزايد للإسلام فى قارة يعتبر الفاتيكان أنه حقق فيها أحد أكبر نجاحاته فى القرن العشرين ، وكان العمل على تكثيف الجهود البشرية من أجل مواجهة الإندفاعة الإسلامية الجديدية وبخاصة فى الجزء الجنوبى من إفريقيا والحضور الجديد للإسلام . وقد تبين أن التنافس بين الكاثوليكية والإسلام هو من أجل كسب معتنقين جدد من الوثنيين ، ووضع خطة جديدة لجولة جديدة من التنصير فى إفريقيا فى خطة طويلة ، ترمى إلى تحويل إفريقيا إلى قارة مسيحية ، وطالب البابا من الأساقفة والكهنة فى البلدان الإفريقية التحرك إلى المناطق التى تتركز فيها المدنية الإسلامية للتنصير بالمسيحية .

وفى نفس الوقت تحدث الكردنيال اميل بلانبدا عن تشقق داخل الكنيسة الإفريقية ، يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف الانتماء الدينى . وهذا ما حدا بالعديدين إلى التقهقر باتجاه الوثنية أو نحو (الإرواحية) وهى طائفة تعتقد بحيوية

المادة (مذهب قديم) .

ويركز التقرير على أن الإسلام بالنظر إلى التصاقه بالحياة اليومية ، يشكل مصدراً آخر للخطر ، ولا سيما أن بعض رجال الدين ينشطون لتوسيع رقعة أولئك الذين ينتمون إلى مذهبهم ، كما أعلن الأسقف (مبينغا) التحديدات التى أطلقها الأسلاف من هشاشة الولاء الدينى لدى الإفريقى وبخاصة الولاء للمسيحية القائمة بالدرجة الأولى على الأخلاقية الروحية التى تأخذ طابع المعتقد المثيولوجى البحث (المثيولوجية - هى الأساطير) .

ويقول الأسقف ماركوس لونبرو : إن العودة إلى الوثنية محدودة جدا ؛ لأنها لا توفر طمأنينة النفس ، والخطر الحقيقى يأتى من الإسلام ، فالمبشرون المسلمون يستغلون كل المعطيات للوصول إلى وجدان الشخص الإفريقى .

وهم يحاولون تصوير المسيحية على أنها دين الجبابرة الذين لا يأخذون المسحوقين بعين الاعتبار ، بل إنهم هم أنفسهم السبب الحقيقى فى وجود هذا الانسحاق .

وهذا الكلام يشكل نقطة جذب مثيرة بالنسبة للزنوج الذين يعتبرون فى أعماق نفوسهم أن البعثات التنصيرية لم تكن سوى الغطاء الميتافيزيقى لتكريس الحضور الاستعمارى .

وتجرى الإغراءات الشديدة لاحتواء الشباب المسلم ، الذين يسمح لهم بالتخصص فى كامبرج أو السربون ، إذا ما تخلى الواحد منهم عن مذهب أهله واعتنق المسيحية ، فإنه حينئذ يتحول إلى شخص آخر تلقى عليه الأضواء ويتدفق عليه المال .

كما أن العديد من المندفعين نحو اعتناق الإسلام يجابهون بالاضطهاد من قبل السلطات الرسمية ، ويتعرض من يشهرون إسلامهم للضرب فى بعض البلدان الإفريقية ، والزج فى السجون لأسباب سياسية .

كما أن بعض الجهات الدينية المرتبطة بالفاتيكان تمارس حملات واسعة من التضليل .

كما حرص البابا على محاربة الوثنيات الجديدة ، محاولا أن يعطى الماركسية تسمية أكثر إثارة للكراهية .

* * *

وفى بحث مستفيض لأحد المراقبين الخبراء حول تصدى الفاتيكان للمد الإسلامى يقول : « لم يكن وصول الكاردينال البولندى إلى كرسى البابوية من قبيل الصدفة ، بل كان نتيجة لخطة مدروسة وجديرة ، خاصة وأن البابا يوحنا بولس الأول لم يمكث فى منصبه سوى ٢٤ يوما ، مات بعدها فجأة . حقيقة إن لكل أجل كتابا ، وإن الأعمار بيد الله تبارك وتعالى ، ولكن موته أثار وقتها تساؤلات الكثيرين . فقد كان فى صحة جيدة ومنذ الأيام الأولى لتوليه أعلن عن نيته فى التغيير من الداخل وعن مشروعات إصلاحية ، ولكنه مات بعد أقل من خمسة أسابيع من يوم جلوسه على كرسى البابوية ، وجاء بعده البابا البولندى يوحنا بولس الثانى ، وهو ثانى بابا أجنبى فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ليتولى حكم الفاتيكان .

وقد عرف بزياراته لدول العالم واحدة بعد أخرى ، وزياراته لدول العالم الثالث حاملا معه شعارات العدالة والحب والسلام . فزيارته للقارة الإفريقية فى مهمة أساسية هى التصدى للتيار الإسلامى ، وعندما قام بزيارته الثانية لإفريقيا طلب من حكام الدول التى زارها أن يلتقى بزعماء المسلمين هناك وتحدث إليهم عن التعايش معاً مسلمين ومسيحيين ، وأيضا خلال زيارته للمغرب توجه إلى أبنائه بشعارات براقة ، ولكنه كان فى الواقع يعد للقيام بحملة تنصير واسعة فى جميع أنحاء القارة ، وقد كشفت هذه الحملة عن وجهها القبيح حين استغلت وكالات الإغاثة ظروف المجاعة أسوأ استغلال ، كما كشف البابا أيضا خلال زيارته للهند عن خطة تنصير مائة مليون نسمة فى العالم حتى عام ٢٠٠٠ .

أما عن المد الإسلامى فهو لا يشكل خطراً على الكنيسة الكاثوليكية بقدر ما يشكل خطرا على إسرائيل ، فهو فى الواقع يهدد إسرائيل فى المحل الأول ، فهى تخشى على نفسها من أى بادرة لظهور قوة إسلامية فى أى مكان فى العالم وحين أشيع عن باكستان أنها فى سبيل صنع قنبلة نووية راحت إسرائيل تحذر العالم مما أسمته القنبلة الإسلامية ، وسمعنا عن تدخلات إسرائيلية لدى الدول التى تمد باكستان بالتكنولوجية النووية .

فالبابا حين يبذل جهده للتصدى للمد الإسلامى ، فهو بهذا يؤدى خدمة جليلة لإسرائيل ،وقد بات دوره مكشوفا حين توثقت علاقاته بالقادة الإسرائيليين،

وكثر اجتماعه بممثلى الجاليات اليهودية فى العالم ، بل إنه خرق تقاليد الفاتيكان بقيامه مؤخرا بزيارة معبد يهودى فى روما ، وأعرب بعضهم عن أنها خطوة تمهيدية للاعتراف الرسمى بإسرائيل والحقيقة أن البابا يوحنا بولس الثانى جيء به إلى الفاتيكان ليكمل الشوط الذى بدأه البابا بولس السادس صاحب الوثنية المشهورة التى برأ فيها اليهود من دم السيد المسيح ، مناقضا بذلك عقيدته المسيحية ، وقد صرح بابا الفاتيكان فى زيارته لجنوب شرق آسيا بأن الإسلام هو مكمن الخطورة على حركة التنصير فى العالم .

وتتوالى هجمات الفاتيكان على العالم الإسلامى منذ وقت بعيد ، ففى رسالة وجهها البابا جون بول الثانى إلى العالم (١٩٨١م) شرح فيها أهمية الدور الذى تقوم به الكنيسة فى مجال التنصير ، موضحا بأنه إذا لم يكن هناك تعهد وضمان كامل من الكنيسة تجاه التنصير ، فإنها لا تكون أبدا كنيسة متكاملة أو صحيحة ، وحث البابا الأغنياء فى كافة أنحاء المعمورة على التبرع وإيداع الأموال فى الجمعيات المنتشرة فى كل مكان لأجل نشر تعاليم المسيح بين الأمم ، وركز البابا على أهمية الدور الذى يمكن أن يقوم به الآباء والأمهات تجاه أبنائهم ليجعلوا منهم بشرا ينظرون إلى العالم من حولهم بطريقة مسيحية ، وأكد البابا على أن التنصير الفردى يحتاج إلى جانب المجهود الكبير الدعم المالى الذى نادى بجعله مركزا فى جهة واحدة .

وهكذا تتوالى خطوات الفاتيكان وفق منهج مرسوم بالاتفاق مع مجلس الكنائس العالمى ، يمتد إلى أندونيسيا وبنجالديش والفيلبين ، بالإضافة إلى إفريقيا فى خطة طموحة .

وقد حذرت رابطة العالم الإسلامى من الحملات التى تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمى فى أنحاء العالم الإسلامى لفتنة أبنائه عن دينهم وصرفهم عن ثقافتهم الإسلامية الأصيلة . وإن الرابطة تتابع باهتمام هذه التحركات التى تستخدم عدة وسائل من بينها صناديق البريد والإذاعات الموجهة إلى العالم الإسلامى ، وتستغل فى ذلك الظروف التى تمر بها بعض المناطق الإسلامية من فقر وجوع لإبعادها عن الدين الإسلامى الحنيف ، وإن هناك صلات بين هذه الحملات الكاثوليكية وبين ما يجرى من عمليات إبادة المسلمين فى الفيلبين وغيرها من مواقع الأقليات الإسلامية إضافة إلى عقد المؤتمرات الكنسية فى عقر دار

المسلمين ، كذلك ما ذكره البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان خلال جولته فى إفريقيا - بشأن موضوع تعدد الزوجات - وقال : إن هذا الأمر لم يأت عبثا فى التشريع الإسلامى وإنها لحكمة سامية بالغة الأهمية تعود بالنفع على المجتمعات والأفراد ، وإن حكمة تعدد الزوجات تعود إلى عدة أسباب ، أهمها : إحصان الرجل بحيث لا يلجأ إلى الحرام وازدياد نسبة النساء على الرجال فى كثير من المجتمعات بسبب الحروب . وقال : إن قصر الزواج بواحدة قد يكون وسيلة للفساد والانحلال .

والعجيب أن بابا روما يصدر عنه ما يستحق التدبر العميق ، فهو لم ينبس بكلمة عندما أقر مجلس العموم ومجلس اللوردات (رذيلة اللواط) .

وكان شغله الشاغل الحديث اللاذع عن تعدد الزوجات ، أما انحراف الشهوة وشذوذها ووضاعتها فالخطب سهل ، وقال الناس : إن البكارة تكاد تختفى فى العقد الثانى من أعمار الفتيات وإن الأعراض تكاد تكون كلأ مباحا ، وإن اتصال الرجل بعشرات النساء حقيقة كالحة ، ليكن كل ذلك ، فهو عند الله - فى نظر البابا - أهون من تعدد الزوجات الذى نظمه الإسلام ، وكان فى الأديان الأخرى لا حدود له .

ألم يذكر العهد القديم أنه كان لسليمان ألف امرأة ، وعلى ذلك فالبابا يؤثر الخلائل على الحلائل ، ويستقبل اللقطاء ببشاشة ، ويرفض أن يكون للرجال أولاد شرعيون من صلبهم إذا كانوا من زوجة أخرى .

قال البابا : إن الطلاق لا يجوز لأنه ضد الإنسان . وهو فى سياحته الأولى والثانية بأقطار إفريقيا يكرر حملته على مبدأ الطلاق أى على الشريعة الإسلامية نفسها .

* * *

أما اهداف الفاتيكان البعيدة فهى القضاء على الإسلام . ويوضع من أجل ذلك تحت تصرف البابا سنويا ألف مليون دولار ، حيث تأتى إمكانيات الفاتيكان الاقتصادية فى المقام الثالث بعد أمريكا وروسيا ، ويدير ثروة الفاتيكان ثلاث منظمات (فى شتى أنحاء المعمورة) و (داخل الفاتيكان) ومنظمة الأعمال الدينية

والإنفاق على الأنشطة المختلفة فى شتى أنحاء العالم ، ويشرف الفاتيكان على أكثر من مليون من رجال الدين الكاثوليك الموزعين فى مختلف أنحاء العالم ، بالإضافة إلى مئات الألوف من دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس العليا والثانوية والابتدائية التى تلبس لبوس العلمانية والمعاهد الخاصة بتخريج المبشرين والرهبان ، فضلا عن عدد من المستشفيات والجمعيات الخيرية الأخرى التى تعمل على نشر مبادئ النصرانية فى العالم ، وتوضع ميزانية الفاتيكان تحت تصرف البابا مباشرة (ألف مليون دولار) وتمتلك الفاتيكان عددا من الشركات والمؤسسات (شركات سكك حديد وملاحة وكهرباء ومازوت) موزعة فى شتى أنحاء النمسا وبريطانيا وألمانيا وسويسرا وهولندا ، فضلا عن عدد من البنوك والبيوت المالية فى إيطاليا وفرنسا ومجموعة من أسهم بنوك مورحان وغيرها ، ويحتفظ الفاتيكان بثروة هائلة من الذهب فى كل من كندا والولايات المتحدة ، كما يمتلك أرضا واسعة بأسبانيا معفاة من الضرائب ، وكذلك فى أمريكا اللاتينية ومنها فى ديار الإسلام .

وتعد قضية وحدة الكنيسة المسيحية هى أكبر أهداف الفاتيكان ، حيث بدأت هذه الدعوة (البابا لادن الثالث عشر) ١٨٩٥م . وفى عام ١٩٦٠م أنشئت أمانة اتحاد المسيحيين برئاسة الكردنيال بيا (وهو الذى عمل على تبرئة اليهود من دم المسيح ، مخالفا بذلك عقيدة جميع النصارى) . وقد أقر مجمع الفاتيكان الثانى ثلاثة وثائق هامة من الحرية الدينية والحركة المسكونية وموقف الكنيسة من سائر الأديان ، ووافق على حضور مراقبين غير كاثوليك فى مجمع الفاتيكان الثانى ، ثم كانت رحلة البابا بولس السادس إلى فلسطين ولقاؤه مع البطريرك اثنا غورس على جبل الزيتون فى مدينة القدس ١٩٦٤م ، وفى ختام مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٧٤م وفى كنيسة القديس بطرس فى روما رفع الحرمان المتبادل بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية الصادر عام ١٠٥٤م ، وفى عام ١٩٦٤ تنازل الفاتيكان عن عدد من الذخائر التى كانت فى رعايته وعهدته فى روما فنقلت إلى كنائس كريت والقدس والإسكندرية ، وأنشئ معهد طنطور السكونى فى القدس ، وخصص للدراسات التى تدعو إلى وحدة الكنائس المسيحية فى كنيسة واحدة ، ثم كانت رحلة البابا بولس الثانى ١٩٧٩م إلى تركيا والتقاؤه بالبطريرك اسكونى دميرنوس الأول ، حيث صدر بيان مشترك يعرف عن النية الأكيدة لكلا الطرفين

للسير قدما لإزالة جميع العقبات لتحقيق وحدة الكنيسة المسيحية .

وقد كان الهدف هو نشر المسيحية فى العالم أجمع ، سواء تحققت الوحدة بين الكنائس المسيحيــة فى كنيسة واحدة أم لم تتحقق ، فهم يلتــقون على خطة موحدة لتنصير أكبر عدد ممــكن من أبناء مختلف الشعوب ، ونشر المسيــحية فى جميع بقاع الأرض .

وكان من أبرز ما اتــفق عليه خطة تحويل أنــدونيسيا إلى بلد نــصرانى فى مدة أقصاها ثلاثين عاما حيث يملك المنصرون مختلف وسائل الإعلام والصحف الكبرى التى توزع ١٥٠ ألف نــسخة يوميا ،بينمــا لا يملك المسلمون صحيــفة واحدة، كما يملكون ٩٣١٩ كنيسة للبروتستانت والكاثوليك .

وفى ضوء هذا كانــت رحلة البابا يوحنا بــولس الثانى للولايات المــتحدة حيث يبلغ عدد كاثوليك أمريكا ٥٢ مليونا ، وكانت الــزيادة لتقوية مركز الكاثوليكية بها؛ نظراً لأن الكاثوليكية تتراجع اليوم فى كل مكان لأنها المذهب المسيحى الوحيد الذى يتعارض مع العلم ، فهى محملة بــالأسرار والمغيبات والمعجزات ، ومن الممكن أن يكون الإنسان بروتستانتيا إنجليكيا ويــظل مع ذلك مسيحيا ، ولكن ليس من السهل أن يكون كاثوليكيا خارجا عن السلطان المبــاشر للكنيسة ، ثم إن الكاثوليكية تحارب بضراوة الطلاق وتحــديد النسل والإجهاض الذى يــتم على يد الطبيــب أو على يد غيره .

* * *

وفى الســنوات الأخيرة قبــل الفاتيكــان فكرة لاهوت الــتحرير ، واعتــرف بابا الفاتيــكان (يوحنا بولس الــثانى) المتحالف مع الــولايات المتحدة لما سمــى بأخطر وثيقة جديدة ، تشهد للاهوت التحرر وقســاوسة الشجعان بأنهم كانوا على حق فى بعض ما نادوا به وصاغــوه ووافقوا عليه منذ ما يقرب من عــشرين عاما ، وترجع خطورة الوثيقة التى أصدرها البابا واعتــرف فيها بلاهوت التحرير هى فكرة الصراع الطبقى التى استعارها من الماركسية والتى يرونها منافية لدعوة المسيحية التى تقول : (على كل إنسان على هذه الأرض أن يحب جاره)،وتدعو إلى مناشدة الفقراء حتى

يوغلوا فى كراهية الأغنياء .

بعد ذلك اضطر الفاتيكان أن يصدر تعليمات جديدة ومجموعة من الوصايا البابوية تقول لرعايا الكنيسة الكاثوليكية كلاما حول الحرية والتحرر بعد أن انتشر لاهوت التحرر من أرض أجنبية فى أمريكا اللاتينية ليصل إلى الكنائس الكاثوليكية فى جميع أنحاء العالم الثالث ، ويتوغل فى صلب تكوينها ، ويعلن البابا عن تصميم الفاتيكان على الاستجابة لقلق وحيرة الإنسان المعاصر ، الذى يعانى من القهر ويتوق إلى الحرية ، ولأول مرة يدلى الفاتيكان برأى فيرى أنه مسموح به كملاذ أخير ضد الطغيان الجاثم ، وأن الحفاظ على حقوق الملكية الخاصة لا بد أن يأتى بعد تطبيق المبدأ الأسمى ، والذى يقول بأن الخيرات فى هذا العالم هى من نصيب الجميع .

وكان أساقفة العالم الثالث قد وقعوا (٨٠٠ من رجال الدين) فى أمريكا اللاتينية على بيان مذكرين بأن عذابات الجماهير الشعبية تكمن فى النظام السياسى والاقتصادى السائد لدينا ، وأنه يجب على المسيحيين أن يتضامنوا على النضال من أجل حقوق الكادحين وإقامة مجتمع أكثر عدالة .

وقد جاء هذا فى مواجهة الرأسمالية الغربية واستقلال هذه الشعوب فى كولومبيا وشيلى والبرازيل .

الفاتيكان والصهونية فى مواجهة الصحوة الإسلامية :

استطاعت الصهيونية العالمية احتواء المسيحية لخدمة أهدافها فى محاولة أوسع نطاقا من وحدة الكنيسة المسيحية (الكاثوليك والبروتستانت) ، إذ ترمى تلك المحاولة إلى الوحدة الإبراهيمية ، وقد خطت الصهيونية خطوات واسعة فى هذا المجال كان أكبرها أثراً الخطوة التى خطاها الكردينال بيا ، الذى عمل على تبرئة اليهود من دم المسيح ، مخالفا بذلك قاعدة نصرانية قديمة ، كذلك فقد استطاع اليهود باستقطاب الكنيسة البروتستانتية ومجلس الكنائس العالمى العمل على إيقاف المدّ الإسلامى وبخاصة فى القارة السوداء ، وتقديم الأموال الطائلة لدعم بعض البعثات التنصيرية (مثلا مؤسسة روتشلد التى قدمت ٩ ملايين دولار) ، ولليهود دور معروف وبارز فى تشويه الحقائق بهدف إيقاف المد الإسلامى وتحجيمه.

وقد توالت الاتصالات بين الصهيونية والفاتيكان منذ وقت بعيد :

١ ـ قام البابا بولس بزيارة الأراضى المقدسة ١٩٦٤ م .

٢ ـ جرت اجتماعات متعددة بين إسرائيل والفاتيكان فى أعقاب حرب ١٩٦٧م.

٣ ـ وفود من إسرائيل تزور الفاتيكان ولقاءات بين أبا إيبان والبابا بولس ١٩٦٩م.

وكان هذا كله مقدمة لوثيقة تبرئة اليهود من هذه الوثيقة التى صدرت فى ٢٥ يونيو ١٩٨٥م ، وهدفها :

١ ـ تقديم لائق لليهود واليهودية خلال الطقوس والمواعظ فى الكنائس ، حيث تضمنت الوثيقة تعليمات مشددة لرجل الدين المسيحى والكنائس والمدرجين بكل بطاقات الكنيسة الكاثوليكية بشأن التعامل مع اليهود ، وتلاوة الصلوات المسيحية بشكل يضمن عدم التعرض لليهود ، بهدف قطع جذور مظاهر معاداة السامية بين المسيحيين .

٢ ـ عدم اعتبار اليهود شعبا منبوذا أو مناوئا للمسيح ـ عليه السلام ـ وذلك بإظهار العلاقة بين يهود فلسطين القدماء والسيد المسيح على أساس أن المسيح يهودى.

٣ ـ الاعتراف بأن أرض فلسطين هى أرض الأجداد اليهود ، وأن تاريخ اليهود لم ينته فى فلسطين فى العام الميلادى السبعين (أى يوم تدمير القدس على يد الرومان) بل استمر تباعا .

وهذا يعنى أن الفاتيكان يعترف عمليا بوجود إسرائيل ، رغم عدم إقامة علاقات دبلوماسية معها ، أما القدس فإنه يدعو إلى أن يصبغ بصابغ دولى .

* * *

ويعلق بعض الباحثين على قرار تبرئة اليهود فيقول :

انتزع اليهود من الكنيسة بعض الاعترافات التى لم تقل بها المسيحية فى كل ماضيها ، وبلغ بها أن برأتهم من إهدار دم المسيح ـ عليه السلام ـ وإن كنا نحن المسلمين ننفى عن السيد المسيح كل مقولة ، ونؤكد قول القرآن الكريم: ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وقد لوحظ أن الكنيسة تحت تأثير الصهونية العالمية اعترفت فى وثيقة صدرت

من الفاتيكان بحق لإسرائيل فى فلسطين (يونيو ١٩٨٥م) ، مع أن فلسطين بلد عربية قبل دخول الإسلام وبعد دخول الإسلام .

وكذلك فإن مشروع الفاتيكان (تدويل القدس) مشروع مرفوض ؛ لأنه يحاول أن يصف فلسطين وصفا دوليا جديدا ، يزيل عنها صفتها العربية وقوميتها الأصيلة .

إن السماح بحرية العبادة لجميع أهل الديانات السماوية حق أكيد مفروض ومعترف به ويجب أن يصان ويدافع عنه ، ولكنه تدويل القدس وإزالة السيادة القومية العربية عنها مرفوض رفضا نهائيا ، ويؤخذ على الفاتيكان موقفه من الطائفة المارونية فى لبنان ، فى محاولة فرض وجودها وتحكمها فى الشعب اللبنانى مسلمين ومسيحيين ، كذلك فإن بعض البعثات المسيحية التى يصدرها الفاتيكان ما تزال تتحدى المجتمعات الإسلامية وتريد أن تستغل ضعف مقدرات الأمة الإسلامية فى أندونيسيا والفيلبين وإفريقيا !

حقائق عامة
فى حوار الأديان

أولا :

هناك خطتان للطعن فى الإسلام :

أولاهما : محاربة الإسلام فكريـا بالطعن فى صاحب الرسالة والكـتاب المنزل عليه والقيم والمبادئ .

ثانيهما : مقاومة الإسلام بحرب خفية ترمى إلى تنصير المسلمين .

ومما ضاعف النشاط التنصيرى خلال السنوات العشر الماضية ما يلى :

١ ـ اهتزاز المـعتقدات النـصرانية خاصة والـيهودية بعـامة ، نتيجـة الدراسات الموضوعية التى قام بها لفيف من باحثيهم ومفكريهم حول نصوص الكتاب المقدس لديهـم (التوراة والإنجيـل) ، وقد كشفت تـلك الدراسات عـن كثير مـن الزيف والأباطيل التى ألحقت بنصوص الكتاب المـقدس ، كما كشفت عن أن جهدا بشريا ضخما قد أضيف إلى نصوص التوراة وملحقاتها .

قال مارتن لوثر : « إن الإيمان بالكتاب المقدس والعقل مستحيل » .

٢ ـ اتفق سبعـون لاهوتيا نصرانيا ـ ممن اشـتركوا فى مقدمة التـرجمة الجديدة للأناجيل عـلى وجود أباطيل كثيرة فـى نصوص الكتاب المقدس ، كمـا اعترف بها المجمع المسكونى الذى عقد ١٩٦٥ ولكن بالنـسبة للتوراة صرحوا بأن العهد القديم يحتوى على كثير من الشوائب وسكتوا عن النقود الموجهة إلى الأناجيل وهى كثيرة وخطيرة .

٣ ـ انتهى كـثير من الباحـثين إلى أنه لا يمكن الاعـتقاد بأن الأناجيـل الأربعة تصور الحياة الحقيقيـة للسيد المسيح ـ عليه السلام ـ مع الجهل الـتام المتعلق بميلادها وحقيقة واضعيهـا ، وأرجعوها إلى الرواية الشفوية غير الموثـقة ، وساعدهم على هذا الاعتقاد الاختلاف والتناقض الشديد بين روايات واضعيها، وخاصة رواية نسب المسيح بين كل من لـوقا ومرقص ، ورواية القبض عليه، ومسـألة تحويل دم المسيح إلى خمر ولحمـة إلى فطير فى العشـاء الربانى ، وهو من أبرز الأسرار الـكنسية ،

ورواية الاجتماع الأخير بين المسيح وتلاميذه قبل القبض عليه ، ورواية قيامه من القبر بعد ما يدعى من صلبه .

ثانيا :

أرسلت جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية من مدريد خطابا إلى الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر فى مجال الحوار بين الأديان تفيد بما استقر عليه الرأى عن انعقاد مؤتمر قرطبة العالمى الإسلامى المسيحى الثالث خلال ١٩٧٩م وقد اختير موضوع : (محمد وعيسى ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة) ليكون محور اللقاء الإسلامى المسيحى .

والمقصود أن يشرح المسلمون كيف يعبر النبى محمد ﷺ عن هذه القيم المعاصرة بالنسبة لمسلمى اليوم ، سواء برسالته وعقيدته ودعوته أو بشخصيته وسلوكه ونفسيته المثالية ، بينما يشرح المسيحيون كيف يعبر عيسى - عليه السلام - عن القيم الاجتماعية نفسها عند مسيحى اليوم .

ورغبنا أن يدرس هذا الموضوع مجموعة ممن يلتقون فى مجتمع متكامل يعيش بالمودة والوفاق وإن اختلفت عقائد مواطنيه وتنوعت أديانهم .

وقد رد الدكتور عبد الحليم محمود برسالة كالآتى :

أحب أن أنبه فى مودة من أجل تفاهم عميق إلى بعض الأمور :

١ - الإسلام منذ أن بدأ خالف الجو العام اليهودى والوثنى فى أمر عيسى - عليه السلام - فقد أعلن الإسلام مباشرة تقديره واحترامه لعيسى وأمه ، أما عيسى - عليه السلام - فهو وجيه فى الدنيا والآخرة ، وأما أمه فهى صديقة ، ووجود عيسى - عليه السلام - جزء من إيمان المسلم ، ولم يقف الإسلام من عيسى - عليه السلام - ومن أمه موقف اليهود الذين مازالوا على موقفهم إلى الآن ، فقد افتروا - وما زالوا - على عيسى وعلى أمه ورموهما ببهتان شنيع ، أما الإسلام فمجدهما وما زال مستمرا فى تمجيده هذا . ومع ذلك فإننا نتساءل عما لقى المسلمون من المسيحيين فى مقابل هذا ؟

٢ - ولتحقيق حد أدنى من التفاهم لا بد من الاعتراف بالدين الإسلامى ورسوله حتى ينال المسلمون فى أوربا ما يناله اليهود من الاعتراف بأعيادهم وشعائرهم ،

وإنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحارب المسلمون فكرة ألوهيته وهو النبى عيسى - عليه السلام - وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون وهو محمد ﷺ .

٣ - إن المسلمين والمسيحيين يعملون على مقاومة الانحراف والانحلال والمادية والإلحاد ، وكان يجب أن يسيروا فى خط متعاون متساند ضد التيارات المنحرفة ، ولكن للأسف يسير المسيحيون فى طريق تنصير المسلمين بقوة ، فهم يعملون ليل نهار على تنصير المسلمين فى كل مكان فى العالم وكل الدول الغربية وأمريكا ترسل إرساليات لتنصير المسلمين بأسلوب مكشوف واضح أو بأسلوب خفى مشهور .

ويضيق المسلمون بذلك ضيقا شديدا ، ورغم ذلك فإن ملايين الجنيهات تنفق عن سعة للتنصير بكل الطرق ، ولو حصروا نشاطهم فى تنصير الوثنيين لما أثار ذلك ضيق المسلمين الشديد وكراهيتهم للأسلوب ولموضوع التنصير نفسه .

٤ - والمسلمون أقليات فى بعض الأقطار المسيحية مثل الفيلبين ، وهذه الأقليات المسلمة ينكل بها . باسم المسيحية تؤخذ أرضها وييتم أطفالها ، وترمل نساؤها ، ولا تجد إلا ارتياحا فى نفوس الأغلبية المسيحية ، ويجب أن ينتهى التنكيل بالمسلمين فى الأقطار التى بها الأغلبية المسيحية ، يجب أن ينتهى ذلك إنسانيا ، ويجب أن ينتهى ذلك دينيا .

٥ - وفى المؤتمرات التى تعقد فى أسبانيا وغيرها هناك أسلوبان للحديث :

أ - التزام العقل ، وهنا يتحلل المسلمون من مبادئ دينهم فيتناولون المسيح - عليه السلام - وأمه بالأسلوب العقلى ، فيكون موقفهم منه موقف اليهود ، يقولون على مريم وعلى ابنها ما يضيق به المسيحيون ضيقا شديدا ، ويقولون على المسيحية نفسها ما يضيق به المسيحيون ضيقا شديدا .

ولكن المسلمين فى هذه المؤتمرات يتبعون مبادئ دينهم ، فيحترمون المسيح - عليه السلام - وأمه ، أما المسيحيون فإن البعض منهم لا يبالى فيتحدث عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بما يضيق به المسلمون ، فلا تكون هذه المؤتمرات وسائل تفاهم وإنما تكون وسائل تنافر ، وذلك كما حدث فى المؤتمرين السابقين من بعض المسيحيين .

ب - التزام ما أملته روح التفاهم ، فلا يساء إلى المسلمين فى مقدساتهم .

٦ ـ ونحن من جانبنا قد قدمنا أسس التفاهم واضحة سافرة :

ـ احترام السيد المسيح .

ـ احترام أمه ـ عليها السلام .

فماذا قدم المسيحيون ؟ لا شيء .

بل على العكس من ذلك ، لقد هاجموا ـ ومازالوا يهاجمون ـ رسول الإسلام ومبادئ الإسلام ، فهل يمكن مع ذلك التفاهم ؟

٧ ـ وأحبّ أن أقول إن الإسلام هو العامل الأكبر فى تثبيت المسيحية حين اعترف بوجود المسيح ـ عليه السلام ـ وحين برأ أمه ، ومع ذلك فقد قوبل بجحود لا مثيل له ، ومازال يعامل بهذا الجحود من المسيحيين ، على أكبر خدمة أدبية للمسيح ـ عليه السلام .

وبعد فإنى أحب صادقا أن نتعاون ضد كل انحراف ، وأحب أن أقول : إنه لولا تقديرى لكم لما كتبت لكم هذا وإنى يسرنى أن أقرأ لكم وأتحدث إليكم عن رأيى فى موضوع المؤتمر فى المستقبل .

ثالثا :

لا يقر المسلمون منهج الغرب فى فرض وجوده على البشرية على الطريقة التى تجعل منه قطب الرحى ومحور الكون ، حيث إنها لا تبحث إلا عن نقاط التشابه بين المدنية الحديثة والمدنية الإسلامية ، ولا يعنيها من الإسلام إلا ما يتفق مع المدنية الغربية ، ولا تحكم على قيمة أمر من الأمور إلا إذا ارتضاه الذوق الغربى والمقاييس الأوربية ، كأن الغرب هو المرجع الأعلى الوحيد للحكم على الإسلام وصلاحيته لهذا العصر وقدرته على التكيف ومجاراة الحياة العصرية ، هذا فضلا عن أن الاستشراق ودعاة التغريب عمدوا إلى اتهام الإسلام بكل عيب وكل ضعف وكل تقصير .

مع أن الإسلام قد أثبت من تجربته خلال ألف عام مع الحضارات والمدنيات أنه قادر على التطور والتكيف ، واستيعاب التقدم ، والاستجابة لحاجات العصر الحاضر ، مع الاحتفاظ بجوهره وأصالته وخصائصه الأساسية .

وقد ظهرت رغبة المسلمين فى هذا العصر فى الحفاظ على حقيقة دينهم وأصالته ومثله العليا ومقاييسه ، منفردا فى كل ذلك عن الثقافات والديانات الأخرى .

رابعا :

هناك حقيقة أساسية فى دراسات مقارنات الأديان ، ذلك هو قول «مونتجمرى وات» - وهو قول صحيح : « إن كل ما كتب عن الإسلام من قبل المستشرقين فى حقبة تاريخية معينة يحتاج إلى إعادة نظر ؛ لأن جانبا كبيرا منه هو غير علمى من جماعة ملأت قلوبهم الأحقاد منذ الحروب الصليبية ، فكتبوا متحاملين على المسلمين كلاما لا يقبله العقل » .

هذا الذى عفاه « مونتجمرى وات » هو الاستشراق وهو أحد الأعمال الخطيرة فى التآمر على الإسلام ، ولكن هناك فى الغرب أيضا خطط منظمة وغير منظمة لإخراج المسلمين من دينهم ، وتشكيكهم فى عقيدتهم ، مستغنين بذلك عن التنصير ، ولطمس جمال الصورة الحقيقية للإسلام ، وذلك بجعله المسؤول الأول عن تخلف المجتمع الإسلامى فى العصر الحديث .

ولكن الغرب يريد من المسلمين شيئا واحداً أن يتحقق له - ونجوم السماء أبعد منه - ذلك هو (احتواء الإسلام) ، والواقع أن أهم مهمة للإسلام فى العصر الحديث هى المحافظة على ذاتيته وأصالته وهى محافظة لا تنافى قط رغبته الصادقة فى التعاون مع الأديان والمذاهب الأخرى ، إذا كانت الغاية من هذا التعاون نفع الناس وخير البشرية ، بل إن حرص الإسلام على أصالته يجعله أقدر على إثراء البشرية فى الميادين التى تتلاقى فيها الحضارات وتتفاعل الثقافات ، كذلك فإن استيعاب الثقافة الإسلامية لخير ما فى الثقافات الأخرى المعاصرة لا يؤدى بالضرورة إلى ذوبان الأصالة والوقوع فى أسر التبعية ، وللمدنية الإسلامية تجارب تؤكد هذا المعنى .

فالإسلام يربط بصفة لا تقبل الفصل بين ما هو دنيوى وما هو مقدس ، وأن الأمور الروحية والدنيوية لا تعتبر ميدانين منفصلين ، ولكن لا توجد حقيقة جامعة واحدة فى الإسلام . والإنسان مستخلف فى الأرض .

أما قدرة الإسلام على التطور والتكيف والاستجابة لحاجات العصر ، فهى أكيدة ، وهى قائمة فى نفس الوقت على المحافظة على جوهره وأصالته وخصائصه الأساسية ، كذلك فإن هناك قدرة الإسلام على العطاء فى حل مشاكل العالم المعاصر ، ولعل اكتشاف المسلمين لأبعادهم السكانية والجغرافية والتاريخية واضحة، فلا تكاد توجد اليوم دولة من دول الأرض إلا وفيها جالية إسلامية استقرت فيها منذ التاريخ البعيد .

ولقد كشف الإسلام للأوربيين عن وجهه الحقيقى عندما خفت حدة العصبيات، وفى نفس الوقت الذى تزعزعت فيه ثقة الكثيرين فى الأصول التى تقوم عليها بعض الأديان ، كالتثليث والصلب والخطيئة ، فقد أبطل الإسلام هذه العقائد الثلاث وكذلك عقيدة الاعتراف والغفران ، وغير ذلك مما تقوم عليه المسيحية الغربية وما لم يعد مقبولا فى عقول ونفوس أهل الغرب .

خامسا :

لا يقر الإسلام فكرة تطور الأديان ، وينكر النظرية القائلة بأن البشرية مرت بثلاثة أدوار (الخرافة ـ الدين ـ العلم) كما ينكر النظرية الأسطورية الطموطمية عن نشوء الأديان التى تدعى أن الابن أراد الاعتداء جنسيا على أمه فمنعه أبوه فقتله ومن ثم نشأت المحرمات ، وأن فكرة الألوهية بدأت بعبادة الحجر والحيوان والإنسان ثم الإله ثم العلم .

ولقد قرر القرآن الكريم أن الإسلام ابتدأ ببداية البشر حيث دعا إلى التوحيد، ثم حدثت الانحرافات بتقديس بعض الأشياء ، ثم نسوا بمرور الزمن أن هذه مجرد واسطة فعبدوها من دون الله ـ تبارك وتعالى .

سادسا :

بعد أن تورطت الكنيسة فى قبول اللواط تورطت الكنيسة فى فضيحة الإيدز ، منذ أن فتحت أبوابها لعقد قران بين أفراد الجنس الواحد ، مع كل ما يترتب على ذلك من مخالفة لكل الأديان السماوية . إن الكنيسة تدخلت فى الفطرة الإنسانية ومنعت الزواج على رجال الدين من القساوسة والرهبان ، على عكس الإسلام الذى دعا رسوله الأمين شباب أمته إلى الزواج لأنه أحصن للفرج ويكثر النسل ،

ولكن رجال الديـن من النصارى الذين يتظـاهرون بالزهد فى الدنيـا والامتناع عن الزواج يرتـبطون بالخلـيلات بدلا من الزوجـات ، وكثيرا مـا شهدت الكنـائس فى عديد من بلاد الغرب فضائح الاعتداء الجنسى .

وكان أخطر ما عرف إصابـة عدد كبير من رجال الكنيسة فـى الولايات المتحدة بمرض الإيدز حيث غزا الإيدز الكنيسة .

سابعا :

يقول الداعية الإسلامـى عبد الله محمد إبراهيم :« إن التناقـضات الكثيرة في الديانـة المسيحـية دفعتـنى إلى الشـك فى وظيفـتى كقسـيس يدعو إلـى النصرانـية الصحيحة . إن رواية القرآن عن السيد المسيح واحترام الإسلام له جعلنى أشك فى الروايات المـتناقضة للـمذاهب المسيـحية ، وأميل إلـى موقف الإسلام منه ـ عـليه السلام » .

وقال : « إنه وجد نسخة قديمة من الإنجيل فى الكنيسة الأثيوبية ، كتب فيها : « ويأتى رسول من بعدى اسمه أحمد فاتـبعوه » . وواضح أن هذه النسخة تناقض ما يقوله القساوسـة ، لكنه دفعنى أكثر إلى استطلاع الأمر ومـعرفة الإسلام معرفة حقيقية ».

وقال : « إن القرآن كتاب غيـر محرف ، وينبذ الطبقية ويسـاوى بين المسلمين بمختلف أجناسهم وقومياتهم . ولا يعطى لـعلماء الدين أية ميزة دنيوية سوى العلم والتقوى فى الآخرة ».

ثامنا :

هناك حقيقة أكيدة أشار إليها كثير من الباحثين ،وهى أن (الإسلام) هو الذى أبقى على المسيحية وجودها إلى اليوم وهو الذى أعتق المسيحية من الاضطهاد .

ولقد اعترف الـنصارى بأن الإسلام هو الذى حررهم من اضـطهاد الرومان ، وكف عنهم مـا كانوا يقترفونه من أعمـال الشر ومن نهب كنائسهـم . قال بطريرك السريان الأرثوذكى « ميـخائيل السيانى » بعد خمسة قـرون من الفتح الإسلامى : «لأن الله هو المنتـقم الأعظم الذى وحده على كل شىء قـدير ، ولأن الله رأى ما كان يقترفه الروم من أعمال الشر من نهب كنائسنا وديارنا وتعذيبنا بدون أى رحمة، فإنما قد أتى من مناطق الجنوب ببنى إسمـاعيل لتحريرنا من نير الروم ، وهكذا كان

خلاصنا على أيديهم من ظلم الروم وشرورهم وحقدهم واضطهادهم » .

تاسعا :

يقول « يعقوب ريموند » ـ بعد إسلامه : « وجدت ثلاثة فروق جذرية بين المسيحية والإسلام ، ساهمت فى إقناعى بصدق الإسلام :

الفارق الأول : هو أن المسيحية فى الوقت الذى تقر فيه وتعترف بكافة الأنبياء تجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الألوهية ، كما تنكر نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالكلية ، فلم أجد لذلك أى مبرر ، إذ أن النبى ﷺ يؤمن بجميع الأنبياء الصادقين ، ويؤكد أن الرسالة السماوية التى أنزلت إليه هى الرسالة السماوية الوحيدة التى لا تزال مكنونة لم تمس بسوء .

الفارق الثانى : وهو أن المسيحية تنادى بالنظرية القائلة بأن عيسى ابن الله وأنه طرف فى التثليث المقدس ، وبذلك يكون عيسى فى نظرها إلها وابن الله فى وقت واحد ، مما يتعذر فهمه ، كما أن هذه النظرية تناقض التعاليم التى نادى بها إبراهيم وموسى ، فقد علما الناس أن يعبدوا إلها واحداً لا شريك له ، كذلك نجم عن التصور بأن عيسى ابن الله نتيجة أخرى هى إقامة الفوارق بين الأنبياء وتقسيمهم إلى درجات .

الفارق الثالث : وهو أن المسيحية تجعل الكنيسة وسيطا بين الناس وربهم ، فهى تقول لك : اقترف ما شئت من الآثام والكنيسة تعفو عنك وتضمن لك الخلاص والنجاة ، ومن هنا فالخلق فى تصور النصرانية ليس حرا يفعل ما يشاء بل لا بد للكنيسة أن تقوده .

ولقد وجدت لحسن الحظ تصويبا لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحا لها فى الإسلام ، فالإسلام يبين أن الله ـ تبارك وتعالى ـ وحده لا شريك له هو الذى سيقضى يوم القيامة فى الأعمال التى اكتسبها كل ذكر وأنثى فى حياتهم الدنيا ، دون أى تدخل أو نفوذ من أى جهة من الجهات .

فضلا عن أن المسيحية تتعرض لتعديلات مستجدة حسب ما تقتضيه العادات المتغيرة ، وهى تقدم عادات البشر وتقاليدهم وتجعلها فى منزلة أسمى من إرادة الله تبارك وتعالى » .

عاشرا :

قال الدكتور « شور ليفنكر ـ البولندى الأصل ، الفرنسى الإقامة ، الذى اعتنق الإسلام منذ ٣٥ عاما ، وصاحب أكبر دار نشر فرنسية (Seuil) : « إن التعليم الذى تلقيناه نحن الفرنسيين يؤهلنا لأن نرى فى كل دين غير النصرانية تهديدا لنا وهذا الخوف الخفى يقودنا إلى رفض البحث عن المعرفة ورفض العلم ، وألا نتأسى بسلوك الآخرين الذين ينتمون إلى دين آخر ، إنه سلوك سلبى ، وهو الذى يبرر خوفنا .

هناك ٢٠٠ ألف فرنسى اعتنقوا الإسلام ، وبالإمكان أن يزداد هذا العدد ليس فى فرنسا وحدها وإنما فى أسبانيا وألمانيا وسويسرا وبلجيكا وأمريكا ، لماذا ؟ لأن الإسلام يتمتع بحيوية لا يمكن للغربيين أن يتصوروها ، أتكلم عن حيوية فكرية تجعل على المسلم ألا يفكر فى الاتجاه المعاكس » .

حادى عشر :

يقول أحد الباحثين فى مقارنات الأديان : « انهزمت المسيحية أمام الحضارة المادية فاستسلمت للعقائد الغربية وأفسحت المجال للإباحية ، وسامت نفسها منهج المستعمرين الغربيين ، وتهادنت مع الصهيونية ، وكان ارتباط المسيحية بالسياسة الاستعمارية للدول الأوربية ارتباطا متواصلا منذ بدأ عهد الاستعمار ، ولذلك لازمت الصمت على التمييز العنصرى واستغلال الشعوب ففقدت نفوذها ، وأقرنت اليهودية بالصهيونية التى تحكم بسيطرة جنس واحد على العالم ، فلم يكن أمام الإنسان المعاصر بديل إلا الإسلام ، ولذلك قويت إمكانيات الرجوع إلى الإسلام بعد أن انقشعت الغيوم التى أثارها أصحاب الأقلام المسعورة فى الغرب والشرق واعتنق الإسلام علماء وفلاسفة وباحثون فى الغرب ، مقتنعين بدراستهم، وكان الشعور بإخفاق الفلسفات المعاصرة فى كسب ثقة الإسلام المعاصر ووضوح الرؤيا للإسلام » .

ثانى عشر :

انعقد مجمع باكوس المسيحى ٥٨٦م بعد ميلاد الرسول لستة عشر عاما ، وأخذ يبحث هل المرأة إنسان أو شيطان ؟ فى الوقت الذى كان يعلن فيه نبى

الإسلام فى مكة أن النساء شقائق الرجال ، وأن للمرأة من الحقوق ما للرجل ، وعليها من الواجبات ما على الرجل ، وأنها تتعلم وتصلى وتعبد الله ـ تبارك وتعالى .

ثالث عشر :

كتب « وليم أوكسلى » فى كتابه :

(Egypt and the wanders of the land of the gharos) :

« بماذا يجيب علماء الديانة المسيحية على هذا النص وهو أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوسيرس كاعتقادنا نحن الآن بالمسيح تقريبا ، وبأنه ولد بالروح وكان مع والده ووالدته إلها واحداً بثلاثة أقانيم ، وأنه بعد ما قتل وقطع جسمه عاش ثانية » .

وقد تمادى المؤلف حتى قال : « إن الديانة المسيحية ما هى إلا نوع مما كان يعتقده القدماء ووضع على نسق أحدث وأكثر تهذيبا ، واستشهد إثباتا لأقواله بصور وكتابات قال إنها موجودة كيومنا هذا فى (أنس الوجود) بأسوان ، وطبع تلك الكتابات فى كتابه وعلق عليها شروحا » وعلق الدكتور حروت فى مجلة المقتطف (أكتوبر ١٩٠٥م) على الخبر فقال : « إن فى كتابات المصريين القدماء عن (أوسيرس) أشياء كثيرة ، بعضها يشبه ما جاء فى تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ما جاء فى تاريخ أى إنسان كان ، ومن المحتمل أن بعض من تنصروا من المصريين الأقدمين أدخلوا بعض معتقداتهم فى الديانة المسيحية أو فى تعاليم الديانة المسيحية ، ولكن ذلك لا يدل على أن الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية ؛ لأن المخالفات والمتناقضات بينهما كبيرة جدا » .

رابع عشر :

هل النصرانية دعوة عالمية ؟

أجمعت الأبحاث على أن النصرانية دعوة محددة إلى شعب بنى إسرائيل وتكملة لرسالة موسى . قال السيد المسيح ـ عليه السلام ـ (إنجيل متى الإصحاح الخامس ١٧) : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » .

وفى القرآن الكريم: ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦].

ولم يزعم الحواريون استقلال النصرانية عن اليهودية ولم يزعموا عالميتها ، ولكن بولس ـ الذى لم ير المسيح فى حياته ـ دعا إلى نقض عقيدة التوحيد (مثل التثليث) وفكرة قيامة المسيح وبنوته لله ؛ ليكفر بنفسه عن خطيئة البشر ، ودعا إلى نشر المسيحية فى الشعوب الوثنية من بلاد الدولة الرومانية ، ولم يورد بولس دليلا واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى السيد المسيح عن عالمية النصرانية .

ومن هنا فإن المسيحية الحالية لا تمثل النصرانية كحقيقة بحال ، فهى ليست الوحى الذى نزل من الله ـ تبارك وتعالى ـ على السيد المسيح ، بل من وضع بولس . كذلك فإن أكبر انحرافات المسيحية واليهودية هى تحول الدين إلى جنس والاستعلاء بالعنصر .

خامس عشر :

استخدم النصارى الفلسفة اليونانية فى الدفاع عن المسيحية ، وتبرير مفاهيم الصلب والفداء والتثليث تبريرا فلسفيا لإقناع العقل واستخدموا مصطلحات وأفكار مأخوذة من الفلسفة اليونانية .

سادس عشر :

إن جوهر العقيدة النصرانية كلها يرتبط أصلا بفكرة (الخلاص) أى خلاص البشر من خطيئة آدم التى ورثوها عن أبيهم جيلا بعد جيل بدون تكفير لها ، حتى جاء المسيح (الإله) فى صورة الإنسان ـ كما يدعى النصارى كذبا ـ ليكفر عن هذه الخطيئة الموروثة بتقديم نفسه طائعا مختارا على الصليب . ومن ثم فكل من يريد الخلاص من هذه الخطيئة فما عليه إلا أن يؤمن بأن المسيح هو المخلص وأنه قد خلصه من الخطيئة ، ومن ثم يصبح رمزه الظاهرى الإبرياء من خطيئة آدم ، ويترتب على هذا نجاته يوم القيامة .

هذه هى خلاصة العقيدة المسيحية ومحور قطب الدائرة فيها ، ومعتقد كل الطوائف بالإجماع . فلماذا جاء الفاتيكان واقتنع بأن اليهود أبرياء من دم المسيح لأنهم لم يرتكبوا ولم يشاركوا فى عملية الصلب قط . أما وهم كانوا مسؤولين فى

ذلك الوقت فهنا يأتى وجه الخطأ والخطورة . إنه جاء على أن اليهود الآن أبرياء ، وأن اللعنة التى لحقت بآبائهم وأجدادهم من صلب المسيح لم تلحق بهم ، فلم لا ينطبق هذا على خطيئة آدم ويصبح كل أبنائه طاهرين من هذه الخطيئة مادامت لا تورث ، خاصة وأن تبرئة اليهود الحاليين من خطيئة الصلب تعتبر من وجهة نظر النصوص النصرانية أمراً غير وارد ؛ لأن اليهود الذين طالبوا بصلب المسيح قالوا لبيلاطس :اصلبه ، اصلبه ، دمه علينا وعلى أبنائنا وهذا أمر معروف لدى كل نصارى العالم الآن وقبل الآن ، فلماذا حكم بتبرئة ساحة اليهود الحاليين بحجة أنه لا تزر وازرة وزر أخرى رغم هذا النص الصريح المشار إليه آنفاً ؟ أفلا يكون من المعقول ومن المقبول ألا تلحق خطيئة آدم بذريته ، خاصة وأنه قد تاب بنص التوراة. وأيضا بنص التوراة والإنجيل لا يصح مؤاخذة أبناء الجانى بذنب أبيهم .

إذن لماذا لا يكون أبناء آدم أبرياء من خطيئة أبيهم إعمالا لهذه النصوص ؟ أم أن أمر يهود هو فقط الذى يهمكم ؟ ولماذا ؟ وإذا كانت هذه النصوص تشهد ببراءة أبناء آدم من إثم خطيئة أبيهم ، فهل يكون بعد ذلك داع لآن يأتى من يخلفهم فى الخطيئة يسوع المسيح أو غيره ؟ (مستندات تبرئة أبناء آدم من خطيئة أبيهم موجودة فى التوراة والإنجيل ، حزقيال ١٨/ ٢٠ ، رومية ٦/٢) .

إن تراجع الكنيسة الكاثوليكية عن عقيدة الفداء ـ صلب المسيحية وركنها الركين فيها ـ شهادة صريحة بالرجوع إلى شىء من الحق المقرر فى الكتب السابق ذكرها وفى القرآن المهيمن على الكتب السابقة الناسخ لها ، وينتظر تراجعا آخر عن القول بصلب المسيح لأن إلغاء فكرة الخلاف تؤدى بطبيعتها إلى هذا أم أن هذا التراجع لصالح يهود حتى يكونوا معاً صفا واحداً ضد الإسلام فى حلف غير مقدس ؛ لأن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى أثنى على المسيح وأمه ، مما عجز عنه أقدس القديسين عندهم على مدى التاريخ كله .

(دكتور مصطفى شاهين)

* * *

الفصل الرابع

الاستشراق

الاستشراق

كان مفهوم عمل الاستشراق هو تقديم تصور مضلل لمفاهيم إسلامية ، سعيا وراء تغيير قيم الإسلام الحقيقية ، وإسباغ صورة جديدة من مفهوم يجعل الإسلام شبيها بالأديان البشرية أو المحرفة ، معتمدًا فى ذلك على الروايات الضعيفة والمختلقة والمنحرفة ، وعلى تصورات قدمتها الفرق والنحل والدعوات الهدامة على مدى العصور لتوهين مفهوم الإسلام الصحيح ، بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، ومن قيامه على التوحيد الخالص والدعوة العالمية وختم الرسالة .

وفى مجال العقيدة تقديم تصور خاطئ حول ذاتية الإسلام المتميزة المختلفة عن الأديان السابقة فى صورتها الواقعة بدعاوى مضللة من أنه مأخوذ منها ، والتشكيك فى نبوة النبى محمد ﷺ وفى رسالته ، والقول بأنه جاء من عنده بالقرآن الكريم ، وأنه جاء به من التوراة والإنجيل ، وأن الرسالة كانت خاصة بالعرب ولم تكن للعالمين جميعا .

وفى العقيدة ينحاز مفهومهم إلى أن الدين صلة بين الله والإنسان فحسب، وأنه علاقة شخصية لا صلة لها بالمجتمع ، ولا تؤثر فى تطور الحركة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ولا ريب أن هذا المفهوم مغاير تماما لمفهوم الإسلام ، الذى يقرر أن هناك علاقتين بين الله والإنسان وبين الإنسان والمجتمع ، وأن الإسلام دين ودولة ونظام وشريعة ، تشمل الفرد والمجتمع والدولة جميعا .

ويقوم تصور الاستشراق المبثوث فى كتب إعلان ودوائر معارفهم على أن الدين ظاهرة اجتماعية نبتت من الأرض ولم تنزل من السماء ،وأنها ظاهرة مرحلية تلت مرحلة الوثنية ، ويعقبها مرحلة العلم ومن هنا فإن الشعوب الراقية لا تحتاج إلى الدين أصلا (أوجست كونت ـ دوركايم) . كذلك فإن نظرة الاستشراق الغربى إلى بنى الإسلام هى نظرة حاقدة ، تحكمها تصورات أسطورية وخصومات قديمة عبر القرون ، أما القرآن فهو فى تصور الاستشراق فيض وجدان محمد ﷺ ، وصورة من انطباع نفسه بما كان يدور حوله ويقع أمام عينيه ، والوحى ليس إلا وحيا داخل النفس ـ أى من العقل الباطن وليس

من رب العالمين ــ وهو مساير لمفهوم الجاهلية حين قالوا للنبى (فإن كان ما يأتيك رئيا أحضرنا لك الأطباء) .

كذلك فإن الشريعة الإسلامية هى فى نظر الاستشراق استمرار للفقه الرومانى أو مستمدة من النظام القبلى الجاهلى مع وصف الفقه الإسلامى بالقسوة فى الأحكام أما السنة النبوية فهم يزعمون أنها جمعت بعد أن لحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى بوقت طويل وهى غير صحيحة ولا تعبر إلا عن أهواء ومصالح من جمعها .

وتقوم كتابات المستشرقين عن الإسلام على عدة أصول أساسية :

١ ــ إنكار الوحى والنبوة .

٢ ــ التقليل من عظمة الأحداث .

٣ ــ وصف الفتوح الإسلامية بالمطامع والاسترزاق .

٤ ــ عدم تقدير الجانب المعنوى للعقيدة وأثره فى الأحداث والنتائج .

٥ ــ عدم فهم الإسلام على أنه دين ومنهج حياة .

وهم يخضعون الإسلام وتاريخه للتفسير المادى والاقتصادى (الغربى والماركسى واليهودى) .

وأخطر ما فى رؤية المستشرقين للدين بصفة عامة أنه رؤية دهرية تزعم أن العالم وجد نفسه دون حاجة إلى علة خارجية ، ومن هنا فإنها ــ أى الرؤية الاستشراقية ــ تعجز عن فهم حقيقة الألوهية .

ويرجع أثر هذه الأصول العامة للفلسفة المادية التى تشكلت بها عقليات المستشرقين إلى عجز عن فهم حقيقة الإسلام ، الذى يقوم على الإيمان بعالم الغيب الذى لا ينفك عن عالم الواقع والمحسوس ، والذى يتمثل فى الألوهية القادرة التى تعرف الكون والتى تبدئ الأمور وإليها ترجع وتعود .

وأخطر ما فى ذلك أن الدين لدى مدرسة العلوم الاجتماعية يعتبر ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به وحى ، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها .

ومن هنا فإن منهج علم الأديان لا يستطيع أن يعالج الإسلام كبقية

الأديان، فالإسلام فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والفلسفية التى يقول بها المستشرقون ، وهو بعيد عن المثالية التى نشأت من فلسفة الأديان ، كما أنه ليس منهجا يقتفى أثر العلوم الاجتماعية ، إنه دين ودنيا ينتظم هذا وذاك ، وتعاليمه لا تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية ، لهذا عدت الدعوة إلى العلم عامة فى الإسلام .

والاستشراق ـ غربى وماركسى ويهودى ـ مفهومه للألوهية فى المفاهيم الثلاث منحرف وناقص ومضطرب وانشطارى ؛ لأنه يركز على المحسوس والماديات ، ويتجاهل العناصر الأخرى الروحية والمعنوية وعالم الغيب .

فالاستشراق الشيوعى ينكر وجود الله عز وجل ، وينكر الأديان والكتب المنزلة والوحى ، ولأنه ثمرة عصر التنوير الغربى فهو أشد هذه المفاهيم الثلاثة تجاوزا ، أما المفهوم الغربى فيعتمد نظرية مقاربة هى التفسير المادى للتاريخ ويفرض مفهوم أن الدين عبادة ولاهوت ولا دخل له بالسياسة والاجتماع والاقتصاد . وتقوم فيه العلمانية مقام الوحى ، وهو من أجل إقرار مفهوم باطل ـ فصل الدين عن الدولة والمجتمع ـ فهو يثير الشبهات حول المنهج الإسلامى ، والشريعة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى ، واللغة العربية ، وسيرة الرسول ، والتشكيك فى وحدة المسلمين ، وهدم الخلافة ، والدعوة إلى القومية والأقليات ، والقضاء على مفهوم الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما المفهوم اليهودى أشد خطورة ؛ لأنه يقيم من مفاهيم التلمود والتوراة المكتوبة بأيدى الأحبار تصوراً مليئا بالحقد على البشرية كلها ، وفى مجال الأمة الإسلامية يقدم مفهوما مغلوطا هو : (بناء هيكل سليمان والسيطرة على القدس) . ومن هنا فهو يهدم فكرة العروبة والكيان العربى الإسلامى القائم فى فلسطين قبل اليهودية والمسيحية والإسلام ، وينكر رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة وبناء الكعبة وتزييف التاريخ فى شأن يهود الحرم الذين ليسوا من سلالة إسرائيل ، والدعوة إلى العنصرية واتخاذ الماسونية والروتارى والليونز أدوات لذلك ، وإحياء الفكر الباطنى والوثنى القديم.

* * *

ومن هنا فإن الاستشراق بعناصره الثلاث يتقاسم الهجوم على الإسلام فى

سبيل العمل على تحطيم وحدة المسلمين العامة ، والتشكيك فى صلاحية النظام الإسلامى للتطبيق وعجزه عن العطاء وإثارة الشبهات حول ذاتية الإسلام وتكامله ومحاولة تحطيم مجتمعه والاهتمام بدراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ وإحياء خلافات الفرق والصراع بين المذاهب ومحاولة العمل على أن يقبل الإسلام المفهوم الغربى القائل بأن الإسلام قد طمس معالم كل حضارة اتصل بها ، والادعاء بأن الإسلام مرحلة يسقط بعضها بمضى المدة . وهذه كلها محاولات لم تفلح ، وأثبت بقاء الإسلام واستمراره ونموه واتساع حركته فشلها وضلالها .

ويرى الاستشراق أن الخط الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته وأنه الجدار الوحيد فى وجه الفكر الغربى الوافد .

وتقول الوثيقة التى كتبها وزير المستعمرات البريطانية « أورمسى » يقر لرئيس حكومته فى ٩ / ١ / ١٩٣٨ :

« إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه وليست إنجلترا وحدها التى تلزم بذلك بل فرنسا أيضا ، ومن دواعى فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة . إن سياستنا تهدف دائما إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك .

إننا فى السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا ــ وكنا على صواب ــ نمو القوميات المحلية ، فهى أقل خطرًا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى .

إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب الأولى لم تكن نتيجة متطلبات تكتيكية ضد القوات التركية ، بل كانت مخططة لغرض أهم : هو إبعاد سيطرة الخلافة على المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، فإن العثمانيين كانوا يمدون سلطانهم إليها لمعان مهمة . ومن سعادتنا أن كمال أتاتورك لم يضع تركيا فى مسار قومى علمانى فقط ، بل أدخل إصلاحات بعيدة الأثر أدّت إلى نقض

العالم الإسلامى لتركيا . وفى إيران وقع مثل ذلك فإن رضا شاه اتبع سياسة تحد من إرادة وقدرة المؤسسات الدينية ، وأدخل القبعة كما فعل الأتراك ، بكل ما تحمله القبعة من دلالات على رفض العادات الإسلامية والتقاليد الموقرة المتبعة من قبل . وهذه العادات والتقاليد السائدة فيما كان يسمى قديما بالعالم الإسلامى يجب مقاومتها . ومن الخطر أن الوحدة العربية قد تكون حركة تمهيدية لإقامة وحدة إسلامية ، ومن الضرورى الحذر من هذا الاتجاه حتى لا يواجه الاستعمار خطر عودة الإسلام .

هذه هى الخطة التى ما زالت تفرض نفسها » ا . هـ .

* * *

هذا الهدف هو أبرز أهداف التنصير والاستشراق جميعا ، من أجل تثبيت قواعد النفوذ الغربى فى الأمة الإسلامية تحت أسماء جديدة غير الاستعمار السياسى والعسكرى ، ومن هنا كانت سيطرة المستشرقين على الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الغربية ـ أوربا وأمريكا ـ وقد فرضوا على الطلاب العرب والمسلمين الموضوعات والمنهج ، ورفضوا رسائلهم التى حملت فكرهم المستقل ، كذلك فقد فرضوا فكرهم على الجامعات العربية والإسلامية عن طريق محاضراتهم ودائرة المعارف الإسلامية والمجلات ـ وفى مقدمتها مجلة العالم الإسلامى التى تعتمد على الطابع التنصيرى السافر ـ ومن خلال ذلك كله نجح الاستشراق فى أن ينتج نماذج من المسلمين الذين ينظرون إلى دينهم وتاريخهم من خلال عون الغرب . وقد قام مؤرخو الغرب بتحريف الحقائق أو انتقاء ما يتفق مع أهوائهم ، حتى نجحوا فى إقناع الكثيرين من المسلمين أيضا بأن الأديان لم تعد أساسا كافيا لقيام حضارة حديثة متطورة تكنولوجيا .

وإن الإسلام نظام للعبادة الفردية ، ولكنه ليس حضارة ، وهذا ادعاء يثبت التاريخ كذبه وتضليله .

* * *

ولقد كان تناول المستشرقين لمفاهيم وقيم الإسلام مرتبطاً دائما عندهم بمفاهيم اللاهوت من ناحية (دين فردى شخصى) والعلمانية والمادية (التصور المحسوس وحده) من ناحية أخرى . ومن هنا قصر مفهومهم ، فلم يستطع أن يخرج عن مفهوم العلاقة بين المسيحية والمجتمع بفردية المسيحية وعدم ارتباطها

بـالمجتمع إلى مفهـوم التكـامل الجـامع بين عـلاقتى الإنســان بالله تبارك وتعالى ـ من نـاحية ـ والمجتمـع من ناحية أخـرى ، بل ربما كان ذلك معـروفا لدى المستشرقين ، ولكن هدفهم يرمى أساسا إلى تدمير هذه القاعدة وتحطيمها لأنها هى العقـبة فى وجه النفوذ الأجنـبى ، الذى يريد أن يثبت وجـوده عن طريق تصور يقبل الفكر الغربى الدينى فى مفهوم العلمانية والفصل بين الدين والدولة أو بين الدين والمجتمع .

منهج الاستشراق فى دراسة الإسلام

أولا :

محاولة التشكيك فى الدين والألوهية وفساد تناولهم لمفهوم الدين عامة والإسلام خاصة .

يرتبط مفهوم الاستشراق للإسلام بمفاهيم اللاهوت من ناحية والعلمانية المادية من ناحية أخرى ، فهم فى النظرة إلى الإسلام لا يستطيعون أن يخرجوا عن مفهوم العلاقة بين (المسيحية والغربية) وبين المجتمع الأوربى ، ولا يستطيعون التحرر من (فردية المسيحية) وعدم ارتباطها بالتطبيق السائد فى الغرب .

كذلك فإن اعتمادهم على منهج علم الأديان لا يستطيعون أن يعالجوا الإسلام كبقية الديانات ، فالإسلام فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والفلسفية والعلمية التى يقول بها المستشرقون .

كذلك فإن رؤية المستشرقين للدين على أنه رؤية دهرية بزعم أن العالم أوجد نفسه دون حاجة إلى علَّة خارجية عنه ، هذا المفهوم يرفضه الإسلام تماما؛ ذلك أن النظرة الدهرية مستوحاة من فلسفة هرقليط اليونانى ومن هيحل ونيتشه فى الحديث .

كذلك خطؤهم فى فهم حقيقة الألوهية ، فبعضهم يرى أن نسبة البارى إلى العالم كنسبة المخرج إلى المنظر ، وهو فهم لا يقره الإسلام ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ هو عالم الغيب والشهادة ، يسمو على الواقع ولا يختلط بالعالم الحسى ، وهو يمسك السموات والأرض لحظة بعد لحظة ، وهو ذات مطلقة قائمة بذاتها لا تحل بالعالم ولا تتحد به .

ويختلف مفهوم الإسلام للدين عن مفهوم مدرسة العلوم الاجتماعية (المستشرقون دوركايم وليفى بريل وأتباعهما طه حسين وغيره) ؛ هذه المدرسة التى تعتبر الدين ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط إلى الأرض وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، هذا المفهوم الذى يعتمده الاستشراق للدين فى محاولة فهمه للإسلام مفهوم خاطئ ؛ لأنه

يعتمد على الفلسفة المادية ، ولا يعترف بعالم الغيب الذى يقرر الوحى والنبوة والجزاء والبعث والحساب ، ومن هنا فإن منهج علم الأديان الذى يعتمده الاستشراق الغربى لا يستطيع أن يعالج الإسلام أو ينظر إليه على نحو بقية الديانات ، فالإسلام فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والفلسفية العلمية التى يقول بها المستشرقون .

كذلك يرفض الإسلام مفهوم هيجل الذى يقول ، إن العالم وجد بنفسه بدون حاجة إلى علة خارجية عنه وهو مفهوم خاطئ ، فإن الله ــ تبارك وتعالى ــ هو خالق هذا الكون من العدم ، وهو سبحانه القائم عليه ، وهو الذى علم الإنسان ما وصل إليه من أسرار هذا الكون .

كذلك فإن الإسلام بعيد عن (المثالية) التى نشأت من فلسفة الديانات ، كما أنه ليس منهجا يقتفى أثر العلوم الاجتماعية . إنه دين ودنيا ، ينتظم هذا وذلك ، وتعاليمه لا تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية .

فالإسلام لا يقر مفهوم أن الدين ظاهرة اجتماعية أو ظاهرة مرحلية تلت الوثنية وتعقبها مرحلة العلم ، ومن ذلك الادعاء بأن الشعوب الراقية لا تحتاج إلى الدين أصلا ، بل يقرر الإسلام حاجة البشرية إلى هداية الدين والتماس منهجه فى بناء الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

* * *

ويقرر الإسلام أن انحراف الفكر البشرى إلى النظرة المادية ونشوء الفلسفة المادية كأثر من آثارها أدى إلى :

١ ــ تجاهل العامل الأول والأكبر فى الكشوف وتفسير الظواهر ، وهو الله تبارك وتعالى .

٢ ــ التحول إلى الماديات الاجتماعية : الرفاهية المادية وإشباع رغبات الإنسان .

٣ ــ التحرر من كل الضوابط والحدود التى وضعتها الأديان ، بل وإنكار الأديان نفسها .

وأخطر آثار ذلك هو تحول التفسير المادى للطبيعة إلى مذهب فكرى واجتماعى وأخلاقى ، وأصبح التطور مفهوماً اجتماعيا بعد أن كان مفهوما

علميا، ومن ثم تسلل المذهب المادى إلى عقول المتعلمين فى المعاهد ، وبقى الدين عادات وتقاليد وبدأت تظهر آثار هذه الفلسفة المادية فى مجالات الأخلاق والاقتصاد والفكر والسياسة .

وعندما هدف الاستشراق إلى الترويج للفلسفات المادية إنما كان يعمل أساسا على تقويض دعائم الاعتقاد بالله ـ تبارك وتعالى ـ إلها واحدًا بغض النظر عن البديل المقترح (ألوهية المادة ـ ألوهية الإنسان) ، وذلك بهدف النيل من مفهوم التوحيد الخالص من شوائب الشرك والتعدد الذى قدمه الإسلام .

وقد دعا الإسلام إلى توحيد الله ـ تبارك وتعالى ـ وإعلاء ذاته المقدسة عن كل ما يسع العقل والفهم والحواس ، وليس من شرط كل موجود أن تتم رؤيته بالعين أو أن صحة وجود الموجود لا تستدعى أن يكون مرئيا ، والدليل على ذلك النفس والعقل ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ قائم بذاته ، وهو موجود بذاته لا بغيره ، وليس للأشياء من نفسها إلا العدم .

وأيضا النيل من القرآن الكريم ، ومحاولة القول بأن القرآن الكريم ليس من كلام الله وإنما كان محمد يتميز عن بنى هاشم بأنه يملك حدسا خلابا أو تصورًا خلاقا والذى عزا فيه النبوة أو الوحى إلى نوع من النشاط الذهنى غير العادى .

ومن أساليبهم تناول القرآن بالمنهج العلمى المادى بما يرمى إلى التشكيك والنيل من القرآن كنص مقدس .

ثانيا :

محاولة التشكيك فى النبوة والرسالة ، ومحاولة اختراق السيرة النبوية وإخضاع حياة النبى ﷺ لعلوم التربية والسيكولوجيا فى محاولة للنيل منها .

وقد باءت المحاولة بالفشل فالطفل محمد ﷺ الذى حرم من نعمة الأمومة والأبوة وافتقد الحنان منح الدنيا بأسرها عاطفة وحنانًا ورحمة ، مع أن القاعدة المعروفة أن فاقد الشيء لا يعطيه .

والطفل الذى لم يتعلم (علم الدنيا) : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » والطفل الفقير أغنى الدنيا : ﴿ **ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ [الضحى : ٦ ـ ٨] .

يقول دكتور رشدى فكار : إن محاولة إخضاع العصر النبوى للإطار التراثى ــ ترمى إلى محاولة جعل العصر النبوى تراثا ، ودنونية باسم الفضول العلمى ، حتى يرفع عنه رداء القدسية والألوهية .

وقد جاء منهج المستشرق المتعصب (لامنس) وغيره الذين طرحوا القضايا الخاصة بالعصر النبوى بهدف (دنونته) لتدنيس المقدسات والتشكيك فى أنها دنيونة ولا صلة لها بالوحى ، وأنها مجرد تراث بشرى قابل للأخذ والرد ، وذلك فى إطار محاولتهم التشكيك فى الأنبياء والرسل ، وفى محاولة أن يسقطوا كل هذا الفكر المادى على العصر النبوى وإدخاله فى إطار وصفى ــ راحوا يبحثون عن تأثير العوامل الاقتصادية والسياسية والبيئية فى جزيرة العرب، وهم أساسا مفكرون للعقيدة ، ويحاول هذا الاستغراب الإلحادى أن يعكس ظلمته على الأمة الإسلامية باستشراق مادى ملحد .

وقد شجع هؤلاء على ذلك الانتصارات التى حققها التجريب العلمى فى الغرب والسيطرة على الظواهر واكتشاف القوانين للعديد من مكونات الطبيعة ، مما فتح شهيتهم ليقدموا الإنسان بدلا من الإله ، واستبدال حوار السماء والأنبياء بحوار الأرض والإنسان .

يقول رشدى فكار : ومن المحزن أننا وجدنا بعض النفايات من المثقفين العرب والمسلمين ممن لا يحملون من الانتماء إلى هذه الأمة إلا مجرد الاسم ، ثم يستبيحون لأنفسهم أن يضيعوا أنفسهم لقاء حفنة من المال فى خدمة هؤلاء ، وأن يبسطوا لهم بعض القضايا ويعاونوهم فى دراساتهم المقنعة السوداء ، وقد تنكر هؤلاء المثقفون العملاء لأمتهم وعقيدتهم ، ووضعوا أقدارهم لصالح أصحاب المآرب .

وجملة القول أنهم أرادوا أن يخترقوا السيرة النبوية ، ويخضعوا حياة نبى الإسلام لعلوم التربية والسيكولوجيا ، فضاربوا على فروع القضية وهوامشها ، ولم يصلوا إلى جوهرها وأساسها واختلت موازينهم وباءت محاولتهم بالفشل الذريع .

وقد رد على شبهات المستشرقين فى هذا المجال كثير من الباحثين المسلمين، وفى هذا المجال كتب الدكتور زاهر عوض الألمعى كتابه : (مع المفسرين والمستشرقين) فى زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش وفيه عرض لقصة زواج

النبى ، ورد على شبهات :

١ ــ « اميل درمنحم » فى كتابه : (حياة محمد) الذى زعم أن النبى شعر فى العقد الأخير من عمره بالميل إلى النساء .

٢ ــ عرض لـرأى المستشرقـين « مونتجمرى وات » فـى كتابه : (محـمد فى المدينة) فى زواج الـنبى بكثير من الزوجات واتـخاذه الجوارى ودعواه فى ـنائه بزينب بنت جحش .

٣ ــ عرض لما قاله « جوستاف لوبون » فـى كتابه : (حضارة العرب) ترجمة عادل زعيتر ، بعد أن أثنى على النبى ﷺ ادّعى أن النبى كان ضعيفا فيما أسماه حـبه الطارئ للنـساء بعد أن اقتصـر على زوجة واحدة حتـى بلغ الخمسين .

ثالثا :

الطعن فى الشريعة الإسلامية والسنة النبوية ، والادعاء بأن الشريعة ليست إلا صورة معدلة من القانون الرومانى ، ووصـف الفكر الإسلامى بالقسوة فى الأحكام .

وقد عمد « الفرن جيوم » فى كتابه : (الحديث فى الإسلام) « وتربثون» فى كتابه : (الإسلام عقيدة وعمل) إلى الطعن فى طرق جمع السنة الشريفة، زاعمين أن السنة النبوية الصحيحة لم يـكتب لها البقاء لأنها لم تدون بل كانت تتناقل شفاهة من الرواة ولمدة قرنين من الزمان .

وقد رد على هذا الاتهـام كثير من الباحثين ، ودحضـوا هذا الافتراء كما ادعى « جولد زيهر » أن معظم الحديث موضوع ، واتهم الإمام الزهرى بتزييف الأحاديث ، وقد رد عليه الدكتور مصطفى السباعى فى بحث ضافٍ عن السنة ومكانتها فى الإسلام .

رابعا :

تزييف التاريخ الإسلامى وإخضاعه لمنـاهج وافدة وتفسيره تفسيرا ماديا أو اقتصاديـا ، بما يخرجه عن منهـجه الأصيل ، ووصف التاريخ الإسـلامى بأنه سلسلة متصلة من الحكام الطغـاة والغمز بصلاح الدين ، والحديث عن شجاعة الصلـيبيين ، واتهـام المسلمين بحـرق مكتبة الأسـكندرية وإدانة كـل الحركات الإسلامية الصحيحة ، وإعلاء شأن القرامطة والباطنية وإعلاء الحضارات القديمة

السابقة للإسلام مع التركيز على الحركات المضادة والمتآمرة ، والتوسع فى دراسة الفتن الاجتماعية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ ، وضرب النصوص بعضها ببعض .

ومن أخطر ما قدم المستشرقون من سموم ليهاجم بها التغريبيون اليقظة الإسلامية :

١ ــ القول بأن فترة الالتزام بالإسلام لا تعدو أن تكون فترة عصر الراشدين .

٢ ــ التركيز على فترات الخلاف بين المسلمين وتوسيع دائرة الحديث عنها، والإغضاء بالتالى عن المساحات الكبيرة المتألقة .

٣ ــ إثارة العنصريات وتعمقها بين العرب والبربر الأتراك والفرس ، بهدف إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين .

٤ ــ محاولة إبراز كلمات العروبة والعرب والفكر العربى والحضارة العربية بغرض إثارة الشعوب الأخرى التى ساهمت فى صنع الحضارة الإسلامية وتأليبها ضد العرب .

٥ ــ إبراز دور الأقليات غير المسلمة وتحريكها ضد الأمة والزعم بأنها ظلمت وانتهكت حقوقها .

٦ ــ كراهية كل الدول والجماعات التى أنقذت المسلمين ووقفت ضد الزحف الصليبى مثل المماليك والأيوبيين والعثمانيين . ويفوز العثمانيون بالنصيب الأوفر من حق هؤلاء .

٧ ــ محاولة إرجاع ما يوجد من صور النهضة فى الحياة الإسلامية إلى الاحتلال الأوربى ، مثل الحملة الفرنسية على مصر والبعثات إلى أوربا .

٨ ــ تمجيد كل الذين خانوا الإسلام وحاربوه ، مثل مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا ، وأكبر شاه فى الهند ، والانتقاص من قدر المجاهدين والمصلحين وتلفيق التهم ضدهم .

٩ ــ التشكيك فى التراث الحضارى الإسلامى ، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الحضارة الهلينية ، وأن المسلمين بالتالى لم يكونوا إلا نقلة ومترجمين .

١٠ ــ تشويه منصب الخلافة الإسلامية ، ورميه بأبشع الصفات وإعلان حرب دائمة عليه حتى بعد زواله .

(عبد الحليم عويس)

خامسا :

إحياء خلافات الفرق الضالة والصراع بين المذاهب المنحرفة ، وضرب الوحدة الإسلامية والحيلولة دون قيامها مرة أخرى ، وذلك بهدف تمزيق وحدة الفكر الإسلامى القائم على التوحيد الخالص وترابط الأمة الإسلامية القائم على الوحدة ، وتجديد مذاهب الباطنية والشعوبية والزنج القرامطة والمزدكية والمانوية، وتتيح الطريق إلى الدعوة لما يسمى العدل والحرية وإتاحة الفرصة لكتابة أطروحات ورسائل وكتب فى إحياء هذه الفرق الضالة .

سادسا :

تحطيم تاريخ الدولة العثمانية ومهاجمة السلطان عبد الحميد والخلافة ، وذلك بهدف إشاعة روح الكراهية بين العرب والترك ، والحيلولة دون وجوه الالتقاء بين جناحى الأمة وكذلك إثارة الشبهات حول الخلافة بدعوى أنها ليست من الدين .

وقد جاء هذا الهدف نتيجة للدور الخطير الذى قامت به الدولة العثمانية خلال فترة أربعمائة عام (١٥١٧ ــ ١٩١٧ م) فى حماية الكيان الإسلامى على طول امتداده من الشام ومصر وإفريقيا (الجزائر والمغرب) .

وقد جندوا لهذا العمل عدداً من تلاميذ الاستشراق وأعوانه ، وكانت مهمتهم هى التشكيك فى كل مقدرات الدولة العثمانية وطابعها الإسلامى ، ومن هؤلاء (محمد عبد الله عنان) الذى تخصص فى مهاجمة الدولة العثمانية فى المؤتمرات المختلفة ، وعلى عبد الرازق الذى حاول أن يثبت أن الخلافة ليست من منهج الإسلام ، وأن الإسلام ليس إلا دينا روحيا لا علاقة له بالسياسة أو نظام الحكم .

سابعا :

تدمير البطولات الإسلامية ، وإثارة الشبهات حولها ، وفى مقدمة هؤلاء:

صلاح الدين ومحمد الفاتح والظاهر بيبرس وقلاوون وغيرهم ، واصطناع مفهوم مضلل نحو المماليك والأتراك . ومن ذلك نرى اتهام (فيليب حتى) لخالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة من أجل تزوج امرأته أو قوله بأن عبد الملك بن مروان بنى قبة الصخرة ليحول الحجاج من مكة إلى بيت المقدس.

كذلك فقد ربطوا عظماء الإسلام بروايات كتاب الأغانى المضللة أو روايات ألف ليلة مما نسب إلى عبد الملك وهشام وهارون الرشيد ، ومن ذلك اتهام (فيليب حتى) للصحابة بالاتفاق حول موضوع السقيفة ، فكانت المبايعة لأبى بكر مطابقة لمشروع دبر من قبل بين أبى بكر وعمر وأبو عبيدة ، وهو كذب محض واختلاق مفترى .

ثامنا :

مهاجمة الفصحى (لغة القرآن) وإنشاء ما يسمى بعلم اللسانيات لضرب اللغة العربية ، ومذاهب فن القول بديلا عن البلاغة ، وتشجيع العاميات ، وقد أوغل الاستشراق فى هذا الموضوع بقدر كبير ، فاتهموا اللغة العربية الفصحى فى قواعدها ورموها بالقصور وصعوبة النطق ، ودعوا إلى الكتابة بالعامية بدلاً من الفصحى ، وذلك فى سبيل خلق فجوة بين بيان القرآن وبين لغة الكتابة العصرية ، وقد اعتبر الدكتور طه حسين قضية التمسك باللغة أمرًا تافها ، بل إن مجرد الحديث عنها لا يفيد شيئا ، ليصل من ذلك إلى إمكانية تقويض امتياز العربية فى مصر عن غيرها من اللغات الراقية فقال فى مقال ١٩٣٨م : « لا تنخدعوا لو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال » .

تاسعا :

محاولة الادعاء بالتبعية بين الفكر الإسلامى والفكر اليونانى ، وإبراز هذا الجانب فى نطاق واسع ، ومن خلال الادعاء بأن (الاعتزال) مصدره يونانى، وأن التصوف الفلسفى كذلك . وقد ادعى بعضهم أن الفلسفة العربية هى فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية ، وهم يركزون على هذه النظريات ويرون أن الإسلام قد انحدر بعد القضاء على المعتزلة (وتابعهم فى هذا أحمد أمين وغيره) .

ويركز الاستشراق على البحث عن تأثير الفكر اليونانى فى الفكر

الإسلامى، سـواء فى مجال الأدب والشـعر والمنطق ، أو فـى مجال الفلـسفة والاعتزال والتصوف الفلسفى .

ولما كان الإسلام قد اكتمل منهجـه فى عهد الرسول ﷺ فإن كل ما أدخل إليه من الفلسفـات لم يغير شيئا ، وقد رفض علماء المسلمـين فلسفات اليونان والفرس والهنود لأنها مادية وإباحية لا تتفق مع جوهر التوحيد .

عاشرا :

العمل على هدم مفهوم عالمية الإسلام أو ختم النبوة .

حادى عشر :

التركيز على الجوانب المضطربة من الإسلام كالاهتمام بالتصوف الفلسفى ، حيث نجد عددًا من المستشرقين يوالون الاهتمام بالحلاج وابن عربى وابن سبعين والسهروردى والنفرى ، وتجميع آثارهم والتوسع فى دراساتهم ، وإعادة عرض كتاباتهم ، والاهتمام بالمجهولين مـنهم ، وإحياء آثارهم ، وليس غريبا أن نجد مستشرقا مثل « ماسنيون » يقضى أربعين عاما فى جمع آثار الحلاج .

ثانى عشر :

التشكيك فى عطاء الإسلام للفكر الغربى كان من أخطر أعمال الاستشراق خلق ما يسمى بمؤامرة الصمت بالنسبـة لعطاء الإسلام للحضارة الغربية والفكر الغربى ، فـهم يعلنون قصـة نشأة العلوم عـندهم بشىء غريب اسـمه (عصر النهضة) ، أى نهضة العلوم وأخذها من اليونان ، وهم بهذا ينكرون المنجزات العلمية العربية الإسلامية ، وينكرون تـأثيرها المباشر عليهم ، وقد تصدى لهم الكثيرون من الباحثين المسلمين وفى مقدمتهم (فؤاد سزسكين) ، الذى بين أثر العلوم الإسلامية مثل الفيزياء والفلـك والكيمياء والطب على العلم فى أوربا ، وأنه لولا وجـود العلوم الإسلاميـة وحضارتها لتـأخرت نشأة العلـوم فى أوربا لبضعة قرون إذا كان هذا ممكنا فى الأصل .

ويقول فؤاد سزسكين : إن الغرب بدأ يأخذ ويـتمثل العلوم الإسلامية منذ القرن العـاشر الميلادى واستمر حتـى القرن الخامس عشر الميـلادى ، واستطاع خلال ذلك أخذ ما أنتجه العرب والمسلمـون ، وبالتحديد فى أهم أربعه مراكز هى : (أسبانيا وصقلية والقسطنطينية وطرابزون) على البحر الأسود ، بحيث

تم الأخذ باللغة اللاتينية وباليونانية ، وكان المسلمون قد أولوا اهتماما كبيرا بتدوين تاريخ العلوم قبل ذلك بمئات السنين ، والدليل على ذلك :

- الفهرست لابن النديم .
- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .
- القفصى .

إلا أنه فى أوربا بدأ قبل ثلاثة قرون فقط .

ثالث عشر :

التشكيك فى أصالة العمارة الإسلامية والادعاء بأنها منقولة من النسق البيزنطى وغيره . وتتفجر مؤلفات المستشرق المتعصب « لامنسى » حقدا علينا نحن المسلمين حين نتحدث عن العمارة الإسلامية ، أما المستشرق « كرزويل » الذى تخصص فى مجال الفن الإسلامى (العمارة) فإنه يلجأ فى بعض الأحيان إلى الإيماءات المغرضة ، متأثرًا بنفس منهج المستشرقين من إنكار فضل العرب فى قيام الحضارة الإسلامية .

رابع عشر :

تمجيد الحضارات القديمة السابقة للإسلام ، مع التركيز على الحركات المضادة للإسلام والتوسع في دراسات الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ ، وضرب النصوص بعضها ببعض ، وإدانة كل الحركات الإسلامية الصحيحة ، وإعلان شأن القرامطة والباطنية .

خامس عشر :

التشكيك فى صلاحية نظام الاقتصاد الإسلامى والتركيز على الربا فى التعامل ، والخضوع لمناهج المصارف الغربية ، وفى مقدمة من يتصدون لهذا العمل المستشرق اليهودى « رودنسون » فى كتابه : (الإسلام والرأسمالية) ، الذى يعمد إلى تشويه تاريخ الإسلام ، ورفع العنصر اليهودى على حساب العرب .

والمستشرقون ـ بطبيعة تكوينهم وثقافتهم ـ غير مؤهلين للحديث عن الإسلام لافتقارهم إلى كل خصائص الأمانة العلمية ، وذلك بسبب تعصبهم

التاريخى الصليبى على الإسلام وافتراءاتهم على نبيه ﷺ وإنكارهم الوحى المنزل عليه ، وعجزهم عن إدراك إعجاز القرآن ، وجهلهم باللغة العربية وأسرار بلاغتها ، فضلا عن مواقفهم المعروفة فى تأييد اليهود والصهيونية ضد العرب والإسلام .

وتقوم المؤامرة على الإسلام فى دعوى التقارب بين الأديان وتتلخص المؤامرة فى معاملة الإسلام على أنه مجرد دين من الأديان لا يتميز بأى شىء ، بل تتميز عليه اليهودية والنصرانية استنادًا على الزعم الكاذب بأن الإسلام أخذ عنها ، وأن فى القرآن الكريم آيات تشابه ما فى التوراة والإنجيل ، حتى ليكاد يكون نقلا صرفا عنها ، وهذا ما يسمونه الأصل اليهودى المسيحى للإسلام (والحقيقة أن مصدر الأديان والكتب السماوية واحد من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن أصول التوحيد مشتركة بين كل الأديان ، فليس فى هذا ما يصرف على أنه نقل أو تشابه) .

كذلك فإن مفهوم التسامح مع أهل الكتاب يقوم فى الإسلام على قواعد نظمتها الشريعة وهو شىء مختلف عن التقارب المزعوم الذى يراد به الحط من مكانة الإسلام وتحريف معانى القرآن .

القرامطة والاستشراق :

حظى تاريخ القرامطة وعلاقاتها بمؤسس المذهب الإسماعيلى والخلافة الفاطمية بعناية المستشرقين المبكرة ، فبدأوا دراستهم منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وتحديدا عام ١٩٣٨م ، من زوايا مختلفة ، بيد أن أول معالجة مركزة ودقيقة لهذا الموضوع تمت على يد المستشرق الهولندى « دى خويه » عندما نشر عام ١٨٦٢م رسالة عن قرامطة البحرين (القرامطة نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم بالفاطميين للمستشرق ميكال بان دى خويه)

ولقد اعتبر الماركسيون القرامطة تجربة اشتراكية رائدة ، وأخذت الدراسات تكشف عما أسموه عظمة القرامطة وما أدوه من دور فى التاريخ الإسلامى ، وأشاروا على العمل السرى الذى أقام تلك الدولة لتظل شوكة فى جنبى الدولتين العباسية والفاطمية مما نيف على قرن من الزمان ، كما دسوا أعلامهم ذكرويه ، وحمدان قرمط ، وذلك كله تحت عنوان عريض أن حركة القرامطة كانت ثورة اجتماعية ، وقد كانت دعوتهم الباطلة تقوم على أساس إسقاط

التكليف وإباحة المحرمات ، وكانوا لا يغتسلون من الجنابة ودعوا إلى قبلة بيت المقدس والحج إليه والصوم يومان فى السنة ، وقام مذهبهم أساسا على التشكيك والتدليس والتلبيس .

اليهود وسموم الاستشراق :

فرض اليهود أنفسهم على حركة الاستشراق لتحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام وإضعافه ، والتشكيك فى قيمه لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة وكيانا .

١ ــ محاولة الاستشراق اليهودى إعطاء فكرة خاطئة للعالم بأن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام ، وتشويه الفتح الإسلامى .

٢ ــ تشويه التاريخ الإسلامى وتقديم تصور غير صحيح عن مفهوم الاقتصاد الإسلامى على النحو الذى كتبه « ردونسون » فى كتابه : (الإسلام والرأسمالية) ، الذى يرمى إلى رفع العنصر اليهودى على حساب العرب والتشكيك فى صلاحية الاقتصاد الإسلامى .

٣ ــ قدم « مرجليوت » اليهودى عملين خطيرين :

أ ــ انتحال الشعر للقضاء على مصدر هام فى تفسير القرآن وفهمه .

ب ــ دعواه بأن الخلافة ليست من الإسلام .

٤ ــ « بروكلمان » أيد وجهة نظر اليهود فى (تاريخه) ، فهو لا يشير إلى دور اليهود فى تأليب الأحزاب على المدينة ، ولا على نقض قريظة عهدها مع الرسول ﷺ فى أشد ساعات الأزمة ، ولكنه يقول : « ثم هاجم المسلمون بنى قريظة الذين كان سلوكهم غامضا على كل حال » .

٥ ــ يتغاضى « إسرائيل ولفنسون » عن حادثة نعيم بن مسعود فى معركة الخندق كسبب فى انعدام الثقة بين المشركين واليهود ، ولعله يريد أن يوحى بأن اليهود لم يخدعوا المسلمين .

* * *

وقد عمل الاستشراق والتبشير فيما يسمى بالتغريب والغزو الفكرى فى عدة ميادين ، ولهذه أهداف :

ـ دحض مفهوم الإسلام فى المسيحية .

ـ إنكار فضل الإسلام على أوربا .

ـ هدم الأصول الإسلامية حتى لا تكسب ثقة الغربيين أو تقوى الشرقيين بتصريح تصور كاذب عن الإسلام .

ـ العمل على إدخال بعض المغررين فى المسيحية أو إخراجهم من الإسلام بالاغراء .

ـ هدم أمرين أساسين : الوحدة الجامعة بمذهب القوميات ، وأن الإسلام دين ودولة بمذهب العلمانية .

ـ محاولة وضع تصور إسلامى يخضع لأهواء الغرب ومطامحه ، وبما يجعل الإسلام خاضعا لنفوذ الحضارة مستسلما لها .

ـ إثارة الشبهات والأضاليل حول : الإسلام ـ الرسول ﷺ ـ القرآن ـ التاريخ ـ الفقه .

ـ محاولة تقريب الإسلام من مفهوم اللاهوت ، والتشكيك في مفهوم الدين الجامع .

* * *

ومن أخطر تطورات الاستشراق : العمل على تكوين أجيال من التغريبيين لها طابع الإبداع والاستقلال فى تقديم أدلة جديدة على شبهات المستشرقين القدامى .

وقد كان طه حسين من أبرع هؤلاء الذين أخذوا نظريات الاستشراق وقدموا لها أدلة جديدة ، بما استطاع الحصول عليه ، وخاصة فى مسألة انتحال الشعر الجاهلى ، وقد كان يفخر بذلك فى كثير من رسائله إلى زوجته .

* * *

وبالجملة فإن هدف الاستشراق هو تشويه صورة الإسلام وتنفير أهل أوربا منه ، وإنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامى والهدف هو تحطيم قوة التماسك التى يتميز بها الإسلام أو إضعاف هذه القوة ، ومحاولة تصوير الإسلام وكأنه مسألة شخصية متأسيا فى ذلك بالمسيحية ، وكسر قبضة الإسلام

الحديدية ، ويرجع هذا إلى عمق التعصب والكراهية الدفينة للإسلام .

وقد جعلوا من أهم أهداف عام ٢٠٠٠ تنصير مسلمى أندونيسيا وأفريقيا ، حسبما جاء فى خطة مجلس الكنائس العالمى ، وكل ما يجرى الآن من محاولات عن طريق التنصير بالبريد أو بالبث الإذاعى أو باللقاء المباشر يهدف إلى تحقيق هذه الغاية ، وقد اعتمدوا لها مبالغ ضخمة .

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

* * *

محاذير الاستشراق :

ــ الدعوة إلى إحياء الماضى الفرعونى والآشورى والبابلى والفينيقى .

ــ إثارة الشبهات حول حقيقة الإسلام وبخاصة مفهوم أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع .

ــ إثارة الشبهات حول مفهوم الجهاد .

ــ ضرب الإسلام من الداخل عن طريق قوى ذات ولاء وتبعية .

ــ تبنى دعوات ضالة كالقاديانية والبهائية .

ــ التأويل فى تفسير القضايا الكبرى .

ــ إثارة مسألة وحدة الأديان .

ــ إحياء الفكر الباطنى والوثنى والإباحى .

ــ التركيز على استخدام الأساطير والخرافات والفلكلور والانتربولوحيا .

ــ محاولة هدم مشروعية الجهاد .

ــ محاولة هدم ترابط الدين والدولة .

ــ محاولة انتقاص الشريعة الإسلامية .

ــ محاولة التشكيك فى التاريخ الإسلامى واللغة العربية .

ــ محاولة تصوير الأديان كلها بصورة واحدة .

– محاولة تمزيق الوحدة الإسلامية بالدعوة إلى الإقليميات والقوميات .

– محاولة التفرقة بين اليهودية كدين والصهيونية كدعوة عنصرية سياسية .

– اعتبار دعوات قاسم أمين وطه حسين وعلى عبد الرازق دعوات ناهضة.

– اعتبار القاديانية والبهائية دعوات إسلامية تجديدية .

* * *

الفصل الخامس

مؤامرة اليونسكو

مؤامرة اليونسكو

كانت منظمة اليونسكو واحدة من أعمال الغزو الفكرى والتغريب بدعوتها إلى القضاء على التمييز الخاص للأمة ، جريا وراء هدف وحدة عالمية يكون فيها أصحاب النفوذ الاستعمارى هم أصحاب السيادة والقيادة .

والمعروف أن هذا الهدف كان دائما مما تروجه الماسونية والبهائية والقاديانية، بهدف تقليص طابع الإسلام وصهره فى بوتقة الحضارة العالمية والثقافة العالمية ، التى تدعو دائما إلى عالميتها واستغلالها بالجنس والعنصر ، ووقوف الأمم الأخرى فى موقع العبودية والاسترقاق .

وسرعان ما تكشف هذا الهدف عندما ظهرت الموسوعة التاريخية عن تاريخ البشرية ، وظهر الجزء الخاص بالإسلام ، حيث دست فيه عصارة الشبهات والسموم التى حوتها جميع كتب الاستشراق والتنصير والتغريب ، منقولا تماما من دوائر المعارف العالمية البريطانية والأمريكية ولاروس .

وقد جاء فى هذا الجزء الخاص بالإسلام عدة نقاط ظالمة :

١ ـ إن الإسلام احتفظ فى ركن الكعبة بالوثن المهم لأهل مكة وهو الحجر الأسود .

٢ ـ إن الإسلام كان توفيقا بين نظريات مسيحية ويهودية ووثنية .

٣ ـ إن القرآن مؤلف تأليفا بشريا ، وإنه ذو مراتب مختلفة فى نسقه وفى طريقة تعبيره .

٤ ـ ومفتريات أخرى عن الإسلام أهمها أن الإسلام خليط من الديانات الوثنية والمسيحية واليهودية .

وقد علق الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الإسلام بقوله : « إن إيراد هذه المعلومات عن الإسلام على هذا الوجه يكشف عن جهل كاتب هذه المادة ومغالطاته (سبتمبر ١٩٧٥م) .

* لقد جهل أن الإسلام أولى الديانات جميعا فى عقيدته التوحيدية وغالط الحقيقة بأن ذكر أن الإسلام احتفظ بآثار مادية وفكرية للوثنية .

* لقد جهل أن الإسلام دين كامل وأنه نموذج الكمال فى قوانينه التشريعية وفى العبادة والأخلاق ، وكان من المغالطة أن يزعم أنه تسبيح ممزق ، يتكون من قطع من الوثنية والمسيحية واليهودية .

* لقد وضح أن كاتب المادة يجهل الإسلام ويجهل فرائضه ، فلم يعرف الفريضة الثانية فيه وهى الزكاة .

* ووضح أنه يعجز عن فهم اللغة العربية ، فضلا عن أن يتذوقها ، ثم حكم بالتفاوت فى مستوى التعبير القرآنى .

ولما كان هذا العمل من جانب كاتب هذه المادة يعبر عن الجهل والمغالطة ويسيء إلى منظمة اليونسكو ، ويجعلها خارجة عن ميثاق الأمم المتحدة الذى يستوجب أن يلتزم الحيدة فى كتابة بحوثها .

فإن هذا العمل يعد خروجا مع أهداف المنظمة وهو العمل على تخفيف حدة التنافر العنصرى والاجتماعى بين المجتمعات العالمية والعناية بنشر وتقدير الأعمال ذات القيمة الثقافية للإنسانية فى الشرق والغرب .

ولما كان هذا العمل يشوه بالباطل صورة الإسلام فى نظر من يقرأ كتابكم (تاريخ البشرية) وفى ظنه أنه كتاب محايد لذلك يجب إعادة كتابة هذه المادة».

وقد اتجهت مؤسسات إسلامية كثيرة تطالب اليونسكو بتصحيح أخطاء كتابها ، وتوالت السنون وقد فشلت كل الجهود فى العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة التى نشرتها اليونسكو عن الإسلام ، مع مراوغة خادعة ترمى إلى الإصرار على ماقدمت وما تزال حتى اليوم ١٩٨٩م .

وقد سئلت بعض الجهات عن مصدر هذه المعلومات الكاذبة التى تنشرها هيئة دولية مفروض أنها تتمتع باحترام فيما تقول وبالثقة فيما تنشر . وقيل إن هذه المعلومات وضعها مستشرق فرنسى كلف بالكتابة عن الإسلام .

ولقد تبين أن خطة اليونسكو هى جزء من دعاوى الحوار التى كشفت عن نفسها حين دعت إلى حذف صفحات التاريخ الإسلامى الخاصة بالصراع بين الغرب والإسلام (أى أن يحذف تاريخ الحروب الصليبية وحروب الفرنجة والاستعمار الغربى والاحتلال الصهيونى وكل ما يتصل بمقاومته والدفاع عن أرض الإسلام) .

ونحن نـؤمن بأنه إذا كـانت هناك نـية حقيـقية لإقامـة تفاهم أفـضل بين الإسلام والغـرب ، أن يكون ذلك بالـعمل أولا على تـصحيح أخطـاء الغرب نفسه الـتى تغص بها دوائـر المعارف والموسوعات والكـتب المترجمة إلـى اللغة العربية وتاريخ البشرية الذى أعده اليونـسكو ، وكلها تنتقص دور المسلمين فى بنـاء الحضارة الإنســانية ، أو بإعـلاء العنـصر الغربـى واللون الأبيـض وعدم الاعتراف بذاتـية الدعوة الإسلامية وطـالبها المتمـيز المستمد من الـقرآن الكريم والسنـة المطهرة ، واسـتقلاليـة مفهومه الـواضح الجامع المخـتلف عن مـفهوم المسيحية والفكر الغربى وبخاصة فى مجال التوحيد الخالص والتكامل بين الروح والمادة .

وإذا كان الهـدف هو محاولة تـوحيد الأديان على الـنحو الذى يشـتم من كتابات اليونسكو والدعوات التى يؤيدها النفوذ الأجنبى (كالبهائية والقاديانية)، فإن هذه محاولة قديمـة وباطلة وهى من أهداف الماسونية وتوابعـها بهدف تمييع مفهوم الدين الحق والتوحيد الخالص ، ولـيس فى مفهوم الإسلام نفسه توحيد الأديان وإنما فـيه تسانـدها وتعاونهـا على مقاومـة الإلحاد والإباحيـة والمذاهب الهدامة . أما إذا كـانت هناك غاية إلى قيام مـا يطلق عليه الحضـارة الكونية ، فإن هذه المحاولـة غير مقبولة عـلى الإطلاق فى أفق الأمة الإسـلامية ، بل إن باحثين غربيين منصفين عارضوها .

ويتساءل الدكتور « هنريك رالف » فى كـتابه (الإنسانية والوطنية) : هل يجدر بالأمم الـضعيفة المهضـومة الحقوق أن تأخذ بـالنزعة الإنسانيـة وتضحى بالنزعة الوطنيـة ؟ وهل تفكر فى سعادة الإنسانية قبل أن تـفكر فى سعادتها ؟ ويرى الدكـتور « هنريك رالف » : أن الـنزعة الإنسانيـة يجب ألا تعتنـقها إلا الأمم القوية ، أما الأمم الضعـيفة فإن لم تتمسك بوطنيتهـا اعتدت عليها الأمم القويـة، ويرى « هنريـك رالف » : أن أنصار الـسياسة الـعالمية إنمـا يروجون لمصالحهم الخاصة ، رغبة فى الاستمرار فـى بسط نفوذهم وسيادتهم على الأمم المهضومة الحقوق .

ويرى كثير من البـاحثين أن محاولة الغرب فى (توحيد الـبشر) إنما يعنى صبغـها بالصبغـة الأوربية وطبعـها بطابعـهم ، وما دام الغرب يؤمـن أن ليس الإنسان فى مجموعة سيد الخليقـة وإنما هو الإنسان الأبيض وحده فإنه لا سبيل إلى هذه الوحدة .

ونخشى أن يكون وراء محاولة إعلاء مصطلح (الحضارة الكونية)ما يرمى إلى القضاء على ذاتية الإسلام وطابعه المميز الذى يختلف فيه عن تفسيرات الأديان ، والذى يتميز بأنه منهج جامع متكامل ، وأنه نظام مجتمع ومنهج حياة وليس دينا لاهوتيا عباديا فحسب .

ونخشى أن يكون وراء هذه المحاولة حجب مفهوم الإسلام الحقيقى عن المتطلعين إلى فهم حقيقة الإسلام في الغرب ، بمحاولة تصويره على أنه متماثل مع الأديان الأخرى ، وأنه لا يختلف عنها فى شىء كثير .

ونحن نعرف أنه فى مؤتمرات الحوار استطاع الغرب الحصول على كتابات من أعلام الفكر الإسلامى تصور تقدير الإسلام لسيدنا — عيسى عليه السلام — بينما عجز المسلمون فى الحصول على تصريحات مماثلة عن سيدنا محمد — عليه الصلاة والسلام .

كذلك فإن كل محاولة لتحقيق (إقامة تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب) لابد أن يسبقها إيقاف كامل لحملات التبشير المنبثة فى جميع بقاع العالم الإسلامى وخاصة فى إفريقيا وجنوب شرق آسيا (أندونيسيا والفيلبين) ، وأن يتخلى الغرب عن مفاهيمه القائمة على التحيز والتعصب والاستعلاء ، وأن يفتح باب الفهم الصحيح القائم على الإنصاف والاعتراف بمنهج الإسلام وحقه فى البقاء وإيقاف ما يسمونه لائحة (الموثوقات الجاهزة) التى يشترك فى إعدادها رجال الأديان المختلفة واللادينيين أيضا ، فإن هذا من شأنه أن ينتقص مفهوم الإسلام الجامع الصحيح .

* * *

ولكن هل توقف اليونسكو عند هذا الحد ؟

إنه لم يتوقف ومضى فى دوره الخطير الذى يقوم به فى تزييف الثقافة الإسلامية والتراث .

وأخطر ما يقوم به اليونسكو فى هذه المرحلة هو دوره فى إنشاء التعليم العربى الإسلامى والقضاء على طابعه الأصيل ، وذلك عن طريق :

١ — فرض نظرية دارون .

٢ — تقليص الآيات القرآنية .

٣ ـ فرض مفهوم جغرافى لحساب إسرائيل .

٤ ـ حذف صلاح الدين وحطين وعين جالوت من تاريخ المنطقة ، وكانت اليونسكو قد عقدت مؤتمرا عالميا للحصول على موافقة من ممثلى الأديان الثلاثة على إنكار الغيب وإقرار مفهوم المحسوس ، وهو نفس المعنى الذى يروج له بعض المسؤولين فى وزارات الثقافة فى الدولة العربية ، ومن المعروف أن اليونسكو فى خطته الأساسية وفى منطلقه يهدف إلى إشاعة ما يسمى (روح الثقافة العالمية) ، والقضاء على التميز الخاص للأمة الإسلامية تحت اسم الوحدة العالمية التى تزيل الحروب والخلافات .

وهذا العمل يجرى أساسا لحساب سيطرة الصهيونية العالمية ، وقد أشار مؤلف كتاب (اليونسكو والعرب) الأستاذ حسن نافعة إلى أن اليونسكو يعمل على إعادة كتابة التاريخ الحضارى للبشرية على نحو يسهم فى ربط الثقافات المختلفة وإبراز التفاعلات والتأثيرات المتبادلة بينهما بما يعمق الإيمان والشعور بوحدة الإنسان والمصير المشترك للبشر . وكان من أبرز هذه الأعمال نشر دراسة ضخمة فى ستة مجلدات عن التطور الثقافى والعلمى للبشرية .

ولم يذكر الدكتور نافعة كيف ظلم اليونسكو الإسلام والعرب فى المجلد الخاص بهما ، وكيف حاول علماء الإسلام أن يصححوا هذه الأخطاء دون جدوى ، وقد وجد أن ما كتبه اليونسكو عن المسلمين والعرب لا يقل سوءا عما كتبه المستشرقون فى دائرة المعارف الإسلامية بل يفوقه بمراحل .

وليس صحيحا ماذكره الدكتور نافعة من أن هذا العمل الذى قام به اليونسكو قد لقى ترحيبا عربيا عاما .

وقد أشار الدكتور نافعة إلى (التصور الفلسفى لليونسكو) الذى قدمه «جوليان هكسلى » أول مدير عام لليونسكو ، ولكنه لم يذكر أن علماء العرب والمسلمين قاوموا هذا التصور وردوه وكتبوا فى معارضيه كثيرا من الأبحاث وفى مقدمتهم ساطع الحصرى . وأشار الدكتور نافعه إلى أن من العلماء الذين شاركوا فى الاجتماعات التمهيدية لليونسكو الدكتور طه حسين ، وهذا شىء طبيعى فإن كل هذه المخططات سواء منها ما يتعلق بهدم تميز المسلمين والعرب فى اليونسكو أو مسألة الحوار المسيحى الإسلامى بهدف الحصول على إقرارات من علماء المسلمين بأن المسيحية دين منزل قد شارك فيها الدكتور طه حسين

بجهد كبير .

لقد كان هدف « جوليان هكسلى » أن تعمل اليونسكو على صياغة ثقافة عالمية موحدة ، تنطوى على تصور فلسفى خاص ، وهذا العمل وإن كان قد أرجئ فى وقته (١٩٤٧م) إلا أنه ما يزال يمثل طموح القوى القائمة وراء اليونسكو .

وما يزال موضوع المجلد الثالث الذى يتحدث عن تاريخ الإسلام (من عام ٤٠٠ إلى ١٣٠٠م) يمثل خطة التعصب والعداء للإسلام من وراء مفهوم وحدة الثقافة العالمية المضلل الذى يعمل عل هدم تميز الأمة الإسلامية .

وبالرغم من أن علماء الإسلام كتبوا إلى اليونسكو بأن المجلد الثالث يحتوى بالفعل على فقرات مسمومة لا يمكن قبولها ، وهى تصادم مشاعر أى مسلم يعتز بإسلامه ، فإن هذا التصحيح لم يتم بالرغم من مرور السنوات الطوال .

كذلك فإن البحث الذى قام به اليونسكو للحضارة العالمية قام على مفهوم سيادة الغرب للعالم واستعلائه على نفس منهج كتب النفوذ الاستعمارى التى كتبتها فرنسا وإنجلترا وفرضتها على البلاد الإسلامية .

فكيف يمكن أن يكون اليونسكو عالميا ومحايدا إذا كان يردد هذه المفاهيم ، من القول بأن تاريخ البشرية يتمركز حول أوربا فى المقام الأول ؟ !

ونذكر للدكتور حسن نافعه إشارته إلى أن التحدى الذى يواجه اليونسكو الآن هو الخاص بالتأكيد على الذاتية الثقافية وخصوصية الثقافات والحضارات ، وأهمية قيام اليونسكو بمساعدة الشعوب على إحياء تراثها الثقافى والدفاع عن هويتها الثقافية كشرط لحوار مثمر متكافئ بين الثقافات .

ولقد وجد هذا الاتجاه معارضة شديدة من المتعصبين لمذهب (الهومتيزم) داخل اليونسكو ، وهم أتباع الصهيونية وأعداء الإسلام فى الأساس ، الذين عارضوا اليهودية الثقافية واعتبروها تنطوى على خطورة فى تغذية المشاعر بالتعصب والعنصرية ، ومعنى هذا أن اليونسكو إذا سارت فى هذا الطريق فإنها سوف تسقط تمامًا .

رقم الإيداع : ٨٧٨٧ / ١٩٩٥م

I.S.B.N: 977 - 255 - 124 - 1

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت: ٣٤٢٧٢١ ، ٣٥٦٢٢٢ ، ٣٥٦٢٢٣

ص ب ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨